الإسـراء والمعـراج

بين الإعجاز والعـلم

مأمون غريب

الناشر

دار الهدى للكتاب

دار الهدى للكتاب

تليفون : ٣٦٠٤٦٠١ / ٠٤٧ - ٣٦٠٣٦٠١ / ٠٤٧ - ٣٦٠٢٦٠١ / ٠٤٧

مطابع آمون

٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة - لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦

- الإخراج الفنى : نصر حسن سليمان

- الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م

- رقم الإيداع : ١٦٥٠٧ / ٢٠٠٤

- الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-6150-00-4



إهداء

إلى أعظم رسل الله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

إلى من حبه من حب الله .

إلى الذى أخرج البشرية من ظلمات الجهالة إلى نور الإيمان والمعرفة .

إليه عليه الصلاة والسلام عسى أن يكون لنا شفيعا فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[سورة الإسراء : آية ١]

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴾

[سورة النجم : الآيات ١٢-١٨]



مقدمة

القرآن الكريم معجزة الرسول الكريم التى تدل على صدق رسالته ، وأن هذا الكتاب نزل عليه من الله سبحانه وتعالى بلسان عربى مبين . . وقد تحدى القرآن الكريم العرب وهم أهل بلاغة وفصاحة أن يأتوا ولو بسورة من مثله فعجزوا . . وهذا يدل على أن هذا القرآن ليس من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام . فلم يكن الرسول يقرأ ولا يكتب . . ومع ذلك فإن فى القرآن أخبار الأمم السابقة مع رسلهم ، فكيف عرف الرسول ذلك وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب .

تحدى القرآن الكريم العرب أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا .

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٣-٢٤]

والقرآن يحث العرب أن يحكموا عقولهم ، ويتدبروا ما أنزل على الرسول من القرآن ، وسوف يرونه صادقًا ، لأنه تحدث فى أمور لم يعايشها ، ولم يقرأ عنها .

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت ٤٨-٤٩]

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون معجزة الرسول الكبرى فى كل العصور إلى أن يرث الله الأرض وما عليها . .

وستظل الإنسانية تقرأ كتاب الله كما كان يقرأه الرسول على أصحابه . . فلا تبديل . . ولا تغيير فى كتاب الله . . الذى تعهد الله بحفظه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]

. . والقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حدثنا عن معجزة الرسول فى الإسراء والمعراج .

الإسراء من بيت الله الحرام من مكة إلى بيت المقدس فى قوله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
[سورة الإسراء : آية ١]

وحدثنا عن المعراج فى قوله تعالى فى سورة النجم :

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ .

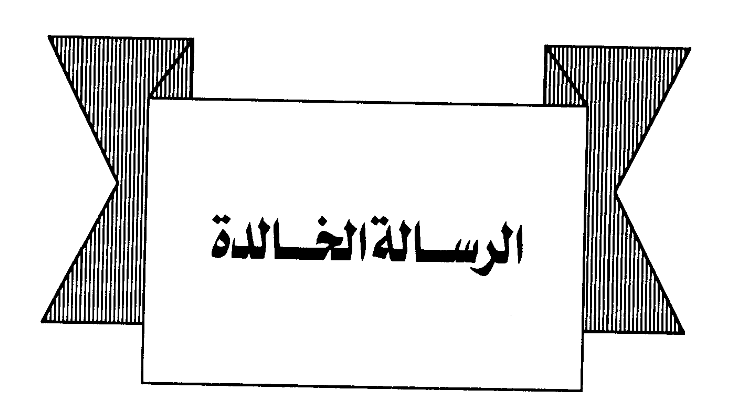
عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [سورة النجم : الآيات ١٢-١٨]

ومعجزة الإسراء والمعراج من المعجزات الكبرى التى ذكرها القرآن الكريم ، والتى تدل على منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام عند ربه ، حيث أراه الله ما لم يره أحد من البشر ، ولا خطر على قلب أحد .

وحول هذه المعجزة الكبرى . . معجزة الإسراء والمعراج . . يكون هذا الإبحار من خلال الرؤى المختلفة لهذه المعجزة . . والتى نعرف من خلالها . . كم كانت روحه عليه الصلاة والسلام فى غاية الشفافية ، وكيف كان عليه الصلاة والسلام أعبد الناس ، وأخشى الناس لربه . . وكم جاهد . . جاهد النفس . . وجاهد الهوى . . وجاهد الكفار . . وعاش بالناس وللناس . . حتى أصبح قرآنًا يمشى على الأرض .

مأمون غريب




الرسالة الخالدة

جاءت رسالة الإسلام لتعيد للإنسانية رشدها ، وتعيد للإنسان كرامته .

فلم يعد من المعقول أن يعيش الإنسان وسط الخرافات والأساطير ، فيعبد أصنامًا من صنع يديه ويعتقد أن هذه الأحجار من الممكن أن تنفع أو تضر . . هذا على مستوى شبه الجزيرة العربية ، حيث عاش الناس على تراث الأباء والأجداد . . يعبدون ويقدسون تلك الحجارة التى تملأ بيت الله الحرام ، بعد أن نسوا رحيق السماء فيما جاء به إبراهينم الخليل عليه الصلاة والسلام .

ولم يمكن من الطبيعى أن يعيش الناس تحت وطأة الحكم الرومانى بطغيانه وجبروته فى ظل تسلط نظم سياسية بالغة القسوة والبطش ، بجانب الانحراف فى فهم رسالة السيد المسيح .

كما كان أيضًا قد آن الأوان للبعد عن عبادة النار التى تقدسها فارس ، وآن الأوان أن تتحطم القيود التى فرضتها هذه الامبراطورية على الأمم التى تعيش تحت وطأة حكمها .

وقد تجسد الخلاص فى الرسالة الخالدة التى جاءت بوحى السماء على الرسول الخاتم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

لم يكن الأمر سهلا ولا هينًا .

فلم يكن من السهل تغيير عادات وتقاليد ومعتقدات عششت فى العقل العربى .

ولم يكن من اليسير إقناع قياصرة الروم ، وأباطرة الفرس بالدعوة الجديدة . . التى تنادى بالتوحيد الخالص ، والبعد عن عبادة الأوثان ، وعبادة الله الواحد الأحد . . ونشر العدل والرحمة بين ربوع البشر .

لم تكن دعوة الإسلام دعو محلية لمكة وحدها أو الحجاز وحده ، أو شبه الجزيرة العربية وحدها ، بل جاء الدين الجديد للعالم كله ، ينشر نوره وعقائده بين أناس لم يعرفوا العدل ، ولم يعرفوا الرحمة ، ولا عرفوا حقوق الإنسان ، كما يليق بهذا الإنسان الذى جعله الله خليفة فى أرضه .

وكان من الطبيعى أن يحارب صاحب الرسالة . وكان من الطبيعى أن يتصدى له مشركو مكة . أولا ، ثم يتصدى لها بعد ذلك حكام خارج دائرة شبه الجزيرة العربية .

وكان الداعى لهذه الرسالة بوحى من ربه هو محمد بن عبد الله . . الذى عرفته مكة طفلاً يتيمًا فى حضن جده عبد المطلب ، ثم عمه أبو طالب .

وعرفته شابًا مستقيمًا . . لم يشهده أحد قط يعبد صنمًا أو يقدس وثنًا ، أو يلهو كما يلهو الشباب فى مثل عمره .

عرفوه بالأمانة ، فسموه الأمين .

وعرفوه عفًا . . نظيف اليد . . دائم التفكر فى ملكوت الله ، ويتحنث فى الأيام ذوات العدد فى غار حراء !

وعرفوا فيه الإنسان الذى لم يتغير عندما عمل فى مال السيدة خديجة، وتاجر بمالها فى الشام ، وأعجبت بشخصيته وأمانته وتزوجته ، وهى السيدة الثرية . . صاحبة المال الوفير .

لم يتغير الرسول بعد هذا الزواج ، بل ظل الإنسان الذى يحترم أسرته ويعمل على إسعادها . .

إلى أن جاءه وحى السماء .

ونزلت أول آيات القرآن الكريم .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١-٥]

بنزول هذه الآيات من القرآن الكريم . . تغير الحال أصبح الرسول مهمومًا بأمر الرسالة . . وشعر بعظم المسئولية .

صحيح أن الدعوة بدأت فى أول أمرها سرًا ، وحتى الذين علموا بأمرها فى أول الأمر لم يهتموا بها كثيرًا ، فما أكثر الحنفاء الذين رأوهم وسمعوا عنهم ، والذين تركوا دين الأباء والأجداد ، ليجدوا فى دين إبراهيم الخليل الملاذ لأرواحهم التى تريد أن تعرف الحقيقة وتبحث عنها .

وصحيح أن هؤلاء الحنفاء لم تأتهم رسالة من السماء لتبليغها للناس ، ولكنها معتقدات فردية لا تؤثر فى قليل أو كثير فى المحيط الاجتماعى الذى عاشوا فيه .

ومن هنا لم يأبه بهم أحد ، ولم تكن دعواتهم ذات خطر على أحد .

ولكن سرعان ما انتشر أمر الدعوة الإسلامية التى ينادى بها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، بل أنه بدأ الدعوة بأقرب الناس إليه ، فقد دعا عشيرته . بعد أن أَوْلَم لهم وليمة ، وحضر معهم عمه أبو لهب . .

قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

أما بعد ... فإن الرائد لا يكذب أهله . والله لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم . والله الذى لا إله إلا هو إنِّى لرسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فقال :

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾

وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين فى الميزان : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله . يا بنى عبد المطلب .. والله ما أعلم شابًا جاء قومه بأفضل مما جئتكم ، إنى جئتكم بخير ما فى الدنيا والآخرة ، فمن يجيبنى إلى هذا الأمر ؟ ويؤازرنى فى القيام به ؟ »

* * *

يومها وقف عمه أبو طالب مؤيدًا ابن أخيه فيما يدعوا له إلا أنه أعرب عن تمسكه بدين الأجداد ، بينما أخذ أبو لهب يتوعد الرسول !

ونزل على الرسول ﷺ قوله تعالى :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤]

* * *

وكان عليه أن يجهر بالدعوة السرية ، فصعد جبل الصفا ونادى الناس من كل بطون مكة ، حتى إذا تجمع الناس حوله قال لهم :

- أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ ؟

قالوا : نعم . . أنت عندنا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبًا قط .

قال عليه الصلاة والسلام :

فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

صاح أبو لهب :

- ألهذا جمعتنا تبًا لك . . . !

ونزل قوله تعالى :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [سورة المسد]

وتحركت مكة الهادئة الوادعة . . أصبحت كبحر هائج . . فلم يعد هناك حديث إلا عن الدعوة ، وصاحب الدعوة .

منهم من أخذ يكيد للدعوة وصاحبها .

ومنهم من أخذ يفكر فى أمر هذا الدين الجديد .

وعدد قليل قد آمن بالدعوة وكان من أوائل من آمنوا بها زوجته السيدة خديجة ، وصديقه أبو بكر ، وابن عمه على بن أبى طالب ، وآمن بإيمان أبى بكر عثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، كما أسلم

سعيدا بن زيد ابن عمرو بن نُفَيْل وزوجته فاطمة بنت الخطاب ، وأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ، وأبو سلمة بن عبد الله المخزومى ، والأرقم بن أبى الأرقم وغيرهم .

لقد بدأ بين المشركين من آمن بالدعوة الجديدة . وأخذ الآخرون يتربصون بالدعوة وصاحب الدعوة ، وبدأوا فى إيذاء من أسلم من ضعفاء المسلمين ، بدأوا بتعذيب آل ياسر . . ياسر وزوجته سمية وابنهما عمَّار . . وكذلك عذبوا بلال بن رباح . .

وبدأت الحياة تموج بالصراع بين المشركين، وأصحاب العقيدة الجديدة.

ولم يفلح التعذيب فى رجوع الذين آمنوا بالدين الجديد عن دينهم .

وإن ظلت الدعوة تسير سيرًا بطيئًا فى مجتمع مكة ، وزاد التعذيب والتنكيل مما حدا ببعض المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة ، ثم بلغت القسوة بأهل مكة منتهاها ، عندما فرضوا حصارًا ظالمًا فى (شعب بنى هاشم) على النبى وأصحابه . .

حصار ظالم استمر ما يقرب من ثلاث سنوات .

* * *

الأيام تمر . .

والرسول عازم على تبليغ أوامر الله - عز وجل - وأهل مكة يتربصون به وبالرسالة الدوائر .

. . وعقب هذا الحصار مات عمه أبو طالب الذى طالما وقف بجانب النبى يؤازره ، ويصد عنه طغيان مكة .

وكم كان النبى يتمنى إسلام عمه ، ولكن نزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦]

ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« **ما نالت منى قريش شيئًا أكرهه إلا بعد وفاة أبى طالب** » .

وبعد أبى طالب بشهور ماتت خديجة ، تلك السيدة الفاضلة ، والزوجة العظيمة التى طالما وقفت بجانب رسول الله ﷺ . . بنفسها ومالها ، ورزقه الله منها الأولاد . .

وقد فجع الرسول بوفاتها . . ولكنه هو دائمًا الصابر على الابتلاء . . فقد احتسبها عند الله . . وقد سُمِّى هذا العام الذى فقد فيه عمه (أبو طالب) وزوجته (خديجة) عام الحزن . .

* * *

لقد صبر الرسول بما هو فوق طاقة البشر . . ولكنه كان يعلم أن وعد الله حق . . وأن الدعوة سوف تنتصر مهما كانت الصعوبات ، ومهما كانت أشواك الطريق .

روى البخارى عن خباب بن الأرت أنه قال :

« أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة الشريفة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت ألا تدعو الله ، فقعد وهو محمر وجهه فقال : « **قد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه . ويوضع المنشار على مفرق رأسه ، فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه** » .

وليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، ما يخاف إلا الله عز وجل .. ولكنكم تستعجلون » .

* * *

كان الرسول عليه الصلاة والسلام الصابر ، يحض المسلمين على الصبر . . فلا بد من الابتلاء . .

والقرآن الكريم يقول :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤]

* * *

أراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينشر الإسلام خارج مكة . . فى الطائف . . كان يأمل أن يؤمن به أهل الطائف ، لتقوى بهم الدعوة .

فالدعوة ليست لقريش وحدها . . الدعوة للعرب ولغير العرب . . الدعوة عالمية . جاءت للناس كافة . . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يوقن تمامًا أن الدعوة ستأخذ طريقها إلى كل العالم . . وأن نور الإسلام سوف يشرق على الدنيا كلها .

قرر الرسول أن يتجه إلى الطائف فى أخريات شهر شوال من السنة العاشرة للدعوة ، ومعه زيد بن حارثة . . والمسافة بين مكة والطائف نحو مائة وعشرين ميلاً . . قرر الذهاب إليها على قدميه لله ! !

والتقى كما يقول ابن هشام في مسيرته بثلاث من سادة ثقيف . . الأخوة الثلاثة عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو ابن عمير ، وحبيب ابن عمرو بن عمير ، وابن عوف بن عقدة بن عوف ابن ثقيف .

قال أحدهم : ألم يجد الله أحدًا يرسله سواك ؟

وقال الآخر : والله لا أكلمك أبدًا ، إن كنت رسولاً فأنت أعظم شأنًا من أن أرد عليك . . وإن كنت كاذبًا فما ينبغي لي أن أكلمك !

وقال الثالث : والله لأتركن أستار الكعبة إن كان الله قد أرسلك . . هلاَّ نزل هذا الدين على رجل من القريتين عظيم !

وهو يعني بالقريتين مكة والطائف ، والعظيم الذي يملك الجاه والثراء .

وخرج الرسول الكريم من عندهم ، وهم ما زالوا على كفرهم وعنادهم ، بل أغروا السفهاء والصبيان أن يرموه بالحجارة حتى دميت قدماه عليه الصلاة والسلام .

. . وعندما وجد الرسول ﷺ أحد البساتين ، استظل بظلها . . وكان هذا البستان يملكه (عتبة بن ربيعة) وأخوه شبية . . وهما من سادة مكة .

وفي الظل توجه الرسول بكل كيانه إلى الله ، بهذا الدعاء الخالد :

« اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين .

أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟

إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدوٍّ ملكته أمري !

إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي .

أعـوذ بنور وجـهك الذى أشـرقت له الظلمـات ، وصلح عليـه أمـر الدنيـا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو تحلّ علىّ سخطك ..

لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وشاهد صاحبا البستان ما حل برسول الله ، فرقت له قلبيهما . . وأرسلا خادمهما (عداس) بقطف من العنب، إليه .

وعندما أخذ الرسول يأكل العنب ، ابتدأ باسم الله قبل أن يضع العنب فى فمه ، واستغرب الخادم عداس مما يرى ، فليس من طبيعة أهل هذه البلاد أن يبدأوا طعامهم باسم الله .

وسأله النبى : من أى البلاد أنت ؟

قال عداس : من (نينوى) .

قال الرسول : من قرية الرجل الصالح (يونس بن متى) .

واندهش عداس وهو يسأله : وما يدريك بيونس بن متى ؟

قال الرسول ﷺ :

- ذاك أخى . . كان نبيًا وأنا نبى .

وانكب الخادم يقبل رسول الله ، وآمن برسالته .

وكان ابنا ربيعة يشاهدان هذا المشهد ، فقال أحدهما للآخر : لقد أفسد محمد غلامنا ، وسحره بكلامه !

عشرة أيام قضاها الرسول ﷺ فى الطائف ، لم يؤمن به خلالها إلا عداس . . هذا الخادم الذى آمن بعد أن تيقن من صدق صاحب

الرسالة . . وكأن هذا الإيمان من هذا الخادم ، يعنى أن هذا الإسلام سينتصر بهؤلاء المستضعفين فى الأرض ، وأنه سوف ينشر أنواره فى كل أنحاء العالم، بفضل هؤلاء الذين سيحملون رايته من الضعفاء والمساكين .

وكان لابد أن يعود الرسول إلى مكة ليواصل رسالته ، وأن يلتقى بالحجيج الذين جاءوا من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية ليعرض عليهم الإسلام .

فإذا لم تحقق هذه الرحلة ما كان يرجوه منها ، فالله وحده هو الذى يعلم بما يأتى به الغد .

وفى طريق العودة هبط إليه جبريل وقال له :

– إن الله قد سمع دعاءك ، وقد بعث معى ملك الجبال لتأمره بما شئت ، فإن شئت أطبقت على قومك الجبال من فوقهم .

قال الرسول ﷺ :

– بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئًا .

ودعا الرسول ربه :

« **اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون** » .

قال جبريل : صدق من سماك الرءوف الرحيم .

* * *

إذا كان أهل ثقيف قد خذلوا الرسول ، فإن هناك من سوف يتبع دينه ، ليسوا بشرًا ، ولكن نفرًا من الجن ، فعندما وصل عليه الصلاة والسلام

إلى (بطن نَخْله) . . أخذ يصلى ويقرأ القرآن الكريم فسمعه نفر من الجن . . فآمنوا بالرسالة يحدثنا عن ذلك القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩-٣٢]

وهكذا آمن بالرسالة هؤلاء النفى من الجن الذين كانوا على دين موسى عليه السلام .

* * *

وأرسل النبى إلى « مطعم بن عدى » عندما اقترب من مكة أن يدخل فى جواره ، فوافق مطعم ، وأرسل أولاده الستة وأمرهم أن يكونوا فى صحبة الرسول عند دخوله مكة حتى لا يتعرض لأذى المشركين . .

وكان مطعم على دين مكة . .

وقد سأل أبو سفيان بن حرب مطعمًا :

- أمجير أنت أم تابع ؟

- بل مجير .

فعرفت مكة أن (مطعمًا وأولاده) . . لم يدخلوا الدين الجديد . . ورضوا بأن يجير الرسول عليه الصلاة والسلام .

. . هذه الرحلة الشاقة التى عانى فيها الرسول عليه الصلاة والسلام مشقة السفر إلى الطائف ، ومشقة السفهاء الذين آذوه فى بدنه عندما رموه بالحجارة ، ولم يعرفوا كرم الضيافة ، وحسن الاستماع إلى صاحب الدعوة ، كانت صعبة وشاقة على نفس رسول الله ، حتى أن عائشة رضى الله عنها سألت الرسول بعد معركة (أُحد) وما أصابه فيها من جروح :

- هلى أتى عليك يوم كان أشد عليك من أُحد ؟

قال عليه الصلاة والسلام :

- « لقد لقيت من قومك ما لقيت .. وكان أشد ما لقيت يوم الطائف .. إذ عرضت نفسى على (عبد يا ليل بن عبد كلال) فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق من الغم إلا وأنا (بقرن الثعالب) فرفعت رأسى فإذا بسحابة قد أظلتنى ، وإذا بجبريل عليه السلام ، فنادانى فقال :

- إن الله قد سمع قول قومك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت ..

قال :

فنادانى ملك الجبال فسلَّم علىَّ ثم قال :

- يا محمد إن الله قد سمع قول قومك ، وما ردوا به عليك . وقد بعثنى الله إليك لتأمرنى بأمرك ، إن شئت دمدمت عليهم الجبال ، وإن شئت خسفت بهم الأرض .

قلت : لا .. بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له » . [أخرجه البخارى]

* * *

كل هذه الأحداث التى مرت بالرسول عليه الصلاة والسلام منذ بدأ فى نشر تعاليم الإسلام ، وردود الأفعال التى لاقاها من مشركى مكة ، والآلام التى تعرض لها ، والمشاق التى لاقاها وهو يبلغ رسالة ربه . . والعدد القليل من الذين آمنوا بالدعوة فى مكة . . كل هذه الصعاب التى تعرض لها عليه الصلاة والسلام ، دون تقاعس عن نشر الإسلام لأنه يعلم تمامًا أن الله سوف ينصره . . وأن نور الله سيعم كل الدنيا . . وليس شبه جزيرة العرب وحدها . . وهذا يتضح لنا عندما هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفرض القتال ، وانتصر على مشركى مكة فى (بدر) وكاد أن ينتصر عليهم فى (أُحد) . . لولا مخالفة الرماة لأمر رسول الله . . فقد أمرهم أن يظلوا فى أماكنهم حتى لو تحقق النصر ، ولكنهم خالفوا أمر رسول الله ﷺ عندما بدا لهم بشائر النصر ، فتركوا مواقعهم ابتغاء المغانم ، وكانت فرصة لخالد بن الوليد . . الذى كان ما زال على دين مكة ، أن يلتف حولهم . . ويحقق نصرًا لمكة ولكن صمود الرسول وبعض الصحابة من حوله ، جعل قريشًا تخشى أن تدور الدائة عليهم ، فقرروا الانسحاب والعودة إلى مكة .

وفى غزوة الأحزاب . . عندما تألبت العديد من القبائل واليهود على الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقرر الرسول ﷺ - بناء على مشورة سلمان الفارسى - أن يحفر خندقًا حول المدينة . . اعترض المسلمون صخرة . . وأخذ الرسول معولاً وضرب الصخرة ضربة أصابها ، وسطع

منها ما يشبه البرق ، ثم ضربها ضربة ثانية فكسرها وأبرقت وضربها الثالثة فانهارت وأبرقت وأضاءت المكان .

سأل سلمان الرسول : ما هذا الذى رأيت وأنت تضرب بالمعول ؟

قال الرسول ﷺ :

« ضربت ضربتى الأولى فأضاءت لى قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها .

وضربت ضربتى الثانية فأضاءت لى القصور الحُمْرَ من أرض الروم ، فأخبرنى جبريل أن أمّتى ظاهرة عليها .

ثم ضربت ضربتى الثالثة فأضاءت لى قصور صنعاء ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها » .

* * *

إن الرسول إذن يعلم أن نصر الله آتٍ لا ريب فيه .

وأن النصر سيكون نصير هذه الدعوة مهما لاقت من صعوبات .

كان الرسول يعرف كل ذلك ويؤمن به ولم يشك لحظة فى نصر الله . . رغم ما عانى هو وأصحابه من انحطاط أخلاق أهل مكة ، وموقفهم من الدعوة وصاحب الدعوة ، والذين آمنوا بها .

ولكن الله - جل علاه - كان يعد لرسوله ما لم يكن يخطر على البال . .

رحلة أرضية من بيت الله الحرام إلى المسجد الأقصى . . وعروج سماوى إلى السموات العلى حتى يرى من آيات ربه الكبرى .

رحلة حيَّرت العقول . . وأنس بها الرسول . . ولكنه بمجرد إخبار الناس بها وكان لابد أن يخبرهم بها انقسم الناس . .

المشركون فرحوا بما سمعوا لأنهم ظنوا أن ما يقوله محمد خارج عن دائرة العقل والمنطق ، وأن هذا يعنى أن أصحابه سوف لا يصدقون هذه الرحلة وبالتالى يعودون من جديد إلى دين الأباء والأجداد ، ويكفرون بالدعوة الجديدة .

والمؤمنون . . زادتهم هذه الرحلة إيمانًا لأن هذه المعجزة ليست من صنع محمد ، ولكنها من صنع خالق الأسباب . . وخالق الزمان والمكان .

وضعاف الإيمان ارتدُّوا عن دينهم !

وكانت (رحلة الإسراء والمعراج) . . محور دراسات إسلامية . . فقد خاض فيها المستشرقون ، كما كانت هذه الرحلة المباركة مادة استقى منها الأدب العربى والغربى مادة خصبة فى إبداعات أدبية ، كما فعل المعرى فى « رسالة الغفران » ودانتى فى « الكوميديا الإلهية » .

* * * * *

حَوْلَ
الإسراء والمعراج



الإسراء والمعراج . . من المعجزات التى أكرم فيها الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

والإسراء كان من بيت الله الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمعراج . . هو عروجه عليه الصلاة والسلام إلى السماوات العلى .

والإسراء والمعراج حقيقة لأنها وردت فى القرآن الكريم .

الإسراء فى قوله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١]

والمعراج . . كما ورد فى سورة النجم :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ .

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

[لنجم : ١-١٨]

. . لا أحد إذن ينكر ويجادل فى حدوث معجزة الإسراء والمعراج .

ولكن الخلاف حدث بين الرواة عن كيفية حدوث الإسراء والمعراج . . وهل كان ذلك رؤيا منام ، أم بالروح أم بالجسد ؟

ومتى كان ذلك . . ومن أى مكان كان بداية الإسراء ؟

أسئلة كثيرة اختلف فيها الرواة .

فمن قائل أن الإسراء كان بالروح والجسد ، بينما كان المعراج بالروح .

ومن قائل أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد .

وهناك من قال أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة .

وهناك من قال بل كان قبلها بستة عشر شهراً .

وهناك رواية تقول أن الإسراء كان فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب .

وهناك من يقول بل كان الإسراء والمعراج فى أول ليلة سبع عشرة من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً .

ولكن مهما كان الاختلاف حول وقت الإسراء والمعراج فلم يختلف أحد فى أنها حدثت .

وإن كانت معظم الآراء قد اتفقت أن هذا الحدث المعجز حدث بعد عودة الرسول عليه الصلاة والسلام من الطائف وأن ذلك كان قبل الهجرة بسنة .

وأكثر الرواة أيضًا عن المرائى التى رآها الرسول عليه الصلاة والسلام فى الملأ الأعلى .

وأخذ البعض يستعرض هذه الروايات ، ويقول فيها رأيه مخالفًا الآخرين . . سواء من الذين قاموا بتفسير القرآن ، أو من الرواة .

وتحدث الرواة وكتاب السيرة كثيرًا عن الهدف من الإسراء والمعراج ، وقد أجمعوا على أن هذه المعجزة توضح مكانة الرسول عند الله ، فقد أمَّ الأنبياء بالمسجد الأقصى . . وعندما عُرِجَ به إلى السموات العلى ورأى من آيات ربه الكبرى ، تجاوز السموات السَبَع إلى سدرة المنتهى . . إلى مكانة لم يصل إليها نبى قبله ولا حتى جبريل عليه السلام .

* * *

واستعراض الآراء المختلفة التى قيلت حول هذه المعجزة ، يمكننا من خلالها . . ولو من خلال نظرة شاملة أن نعرف مختلف هذه الرؤى ، فى هذه المعجزة التى فرض فيها الصلاة فى السماء . . لمكانة هذه الصلاة . . ولأن هذه الصلاة ستكون المعراج اليومى الروحى للمسلم ، عندما يتوجه إلى ربه بالصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة .

. . ما أكثر أسرار هذه الليلة المباركة التى حدث فيها الإسراء والمعراج بخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام .

* * *

يفسر لنا الإمام ابن كثير الآية الكريمة :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[سورة الإسراء : آية ١]

بقوله : يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته عليه ما لا يقدر عليه سواه ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه ﴿ **الذى أسرى بعبده** ﴾ يعنى محمداً ﷺ ﴿ **ليلاً** ﴾ أى فى جنح الليل ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾ وهو مسجد مكة إلى ﴿ **المسجد الأقصى** ﴾ وهو بيت المقدس الذى بإلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا جمعوا له هناك فأمهم فى محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقوله تعالى : ﴿ **الذى باركنا حوله** ﴾ أى الزروع والثمار ﴿ **لنريه** ﴾ أى محمداً ﴿ **من آياتنا** ﴾ أى العظام .

كما قال تعالى : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ . وسنذكر من ذلك ما ور دت به السنة من الأحاديث عنه ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾ . . أى السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم فيعطى كلا منهم ما يستحقه فى الدنيا والآخرة .

ويورد الإمام ابن كثير مختلف الروايات . . الذى يرى فى بعضها على حد تعبيره - غرابة ونكارة - وينهى حديثه (بفائدة) يقول فيها :

قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه « **التنوير فى مولد السراج المنير** » . . وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ، ثم قال : وقد تواترت الروايات فى حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأُبىّ بن كعب ، وعبد الرحمن بن قرظ وأبى حبه وأبى ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن حذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانى* وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين . . منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع فى المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحويت الأسرار أجمع عليه المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

ولأن الإمام ابن كثير . . قد استعرض معظم الآراء التى قيلت حول الإسراء والمعراج . . فإننا سوف نسوق بعضًا من أقواله التى أوردها . . ثم تعرج إلى أقوال المعاصرين . . حتى تكتمل لنا معالم الصورة .

* * *

ذكر الأحاديث الواردة فى الإسراء : رواية أنس بن مالك رضى الله عنه .

قال الإمام أبو عبد الله البخارى : حدثنى عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله قال : « **سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أُسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم**

هو خيرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه - وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيمانًا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده - يعنى عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل . قالوا ومن معك ؟ قال معى محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم . قالوا : فمرحبًا به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى يعلمهم ، فوجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلِّم عليه فسلَّم عليه وردّ آدم فقال مرحبًا وأهلاً بابنى نعم الابن أنت ، فإذا هو بنهرين يطردان فقال « ما هذان النهران يا جبريل ؟ » قال هذان النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت الملائكة الأولى من هذا ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ﷺ قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى و الثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم

فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله تعالى موسى رب لم أظن أن ترفع علىّ أحدًا ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال «عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة » قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو فى مكانه «يارب خفف عنا فإن أمتى لا تستطيع هذا» فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جبرل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال «يارب إن أمتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا» فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد قال «لبيك وسعديك» قال إنه لايبدل القول لدىّ كما فرضت عليك فى أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت ؟ فقال «خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها» قال موسى قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «ياموسى قد والله استحييت من ربى عز وجل مما اختلفت إليه» قال

فاهبط باسم الله ، قال واستيقظ وهو فى المسجد الحرام ، هكذا ساقه البخارى فى كتاب التوحيد ورواه فى صفة النبى ﷺ عن اسماعيل بأبى أويس عن أخيه أبى بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبدالله بن أبى نمر اضطرب فى هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتى بيانه إن شاءالله فى الأحاديث الأخر ومنهم من يجعل هذا منامًا توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل يعنى قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبى هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح وهذا الذى قاله البيهقى رحمه الله فى هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال «نور أنى أراه» وفى رواية «رأيت نورًا» أخرجه مسلم وقوله (ثم دنا فتدلى) إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود وكذلك هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة فى تفسير هذه الآية بهذا وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منته طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة قال ثم عرج به إلى الدنيا فاستفتح فقيل له من أنت ؟

قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ثم يقول الله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد أرسل إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا

ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلىّ ما أوحى ، وقد فرض علىّ فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لاتطيق ذلك وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربى فقلت أى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فعلت فقلت قد حط عنى خمسًا فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسًا خمسًا حتى قال : يا محمد هنّ خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشرًا ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لاتطيق ذلك فقال رسول الله ﷺ «لقد رجعت إلى ربى حتى استحييت» رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك . قال البيهقى وفى هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس وهذا الذى قاله هو الحق الذى لاشك فيه ولامرية ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرازق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبى ﷺ أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجًا ملجمًا ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل مايحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه . قال فارفض عرقا ورواه الترمذى عن إسحاق بن منصور عن عبد الرازق وقال غريب

لا نعرفه إلا من حديثه . وقال أحمد أيضًا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «**لما عرج بي إلى ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم** » . وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم . وقال أيضًا حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «**مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائمًا يصلي في قبره**» . ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر على موسى وهو يصلي في قبره ، وقال أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسًا أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس ، قال أبو بكر صفها لي فقال رسول الله ﷺ : « **هي كذه وذه** » فقال أشهد أنك رسول الله وكان أبو بكر قد رآها ، وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر والبزار ف مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فركز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في أحدهما وقعدت**

فى الآخر فسمت وارتفعت حتّى سدالخافقين وأنا أقلب طرفى ولو شئت أن أمسّ السماء لمسست فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لى باب من أبواب السماءفرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر ولياقوت وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » . ثم قال : ولا نعلم رواه عن أبى عمران الجونى إلا الحارث ابن عبيد وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقى فى الدلائل عن أبى بكر القاضى عن أبى جعفر محمد بن على بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبى الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال : وقال غيره فى هذا الحديث فى آخره ولط دونى أو قال دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن محمد بن عمير بن عطارد « أن النبى ﷺ كان فى ملأ من أصحابه فجاءه جبريل فنكت فى ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكرى الطير فقعد فى أحدهما وقعد جبريل فى الآخر فنشأت بنا حتى بلغت الأفق فلو بسط يدى إلى السماء لنلتها فدلى بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشيًا عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيته على خشيتى فأوحى إلى نبيا ملكا أو نبيا عبدا وإلى الجنة ما أنت فأومأ إلى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال : قلت لا بل نبياً عبداً . قلت وهذا إن صح يقتضى أنها واقعة غير ليلة الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهى كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم . وقال البزار أيضًا : حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بحر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أم محمداً ﷺ رأى ربه عز وجل . وهذا غريب . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيه، عن عبد الرحمن ابن هشام

ابن عتبة بن أبى وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بالبراق فكأنها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله ، وسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال : « ما هذه يا جبريل ؟ » قال سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق فقال هلم يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال : فلقيه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن فتناول رسول الله ﷺ اللبن فقال له جبريل : أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقى من عمر تلك العجوز ، وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام » وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة من حديث بن وهب ، وفى بعض ألفاظه نكارة وغرابة .

(طرق أخرى) عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جداً وهى فى سنن النسائى المجتبى ولم أرها فى الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز حدثنا يزيد بن أبى مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى

آله وسلم قال : « أُتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل عليه السلام فسرت فقال : انزل فصل . فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال : انزل فصل . فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت؟ صليت بطور سينا حيث كلّم الله موسى ، ثم قال : انزل فصل . فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل عليه السلام حتى أممتهم ، ثم صعد بى إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ، ثم صعد بى إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ؛ ثم صعد بى إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد بى إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام ، ثم صعد بى إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بى إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم صعد بى فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيني ضبابة فخررت ساجدًا ، فقيل لى إنى يوم خُلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أُمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام ، فقال : ما فرض ربك على أمتك؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : إنك لا تستطيع أن تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسئله التخفيف . فرجعت إلى ربى فخفف عنى عشراً ، ثم أتيت موسى فأمرنى بالرجوع فرجعت فخفف عنى عشراً ، ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجع إلى ربك فاسئله التخفيف فإنه فرض على بنى إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما . فرجعت إلى ربى عز وجل فسألته التخفيف ،

فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أُمتك خمس صلوات فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك ، قال : فعرفت أنها من الله عز وجل صرى فرجعت إلى موسى عليه السلام ، فقال : ارجع فعرفت أنها من الله عز وجل صرى - يقول أى حتم - فلم أرجع » .

(طريق أخرى) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لما كان ليلة أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ الامكان الذى يقال له باب محمد ﷺ أتى إلى الحجر الذى بمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا فى صرحة المسجد قال جبريل : يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال : « نعم » فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن عليّ السلام فقلت « من أنتن » فقلن : نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيرًا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدى جبريل عليه السلام فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت «لا» قال : صلى خلفك كل نبى بعثه الله عز وجل ، قال ثم أخذبيدى جبريل فصعد بى إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ؛ قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ؛ قال ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك ، قال فلما استوى على ظهرها إذا فيها ادم فقال لى جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك ادم ؟ قال قلت بلى فسلمت عليه فرد على وقال

مـرحبـا بابنى الصـالح والنبى الصـالح ، قال ثـم عرج بى إلى السـمـاء الثانيـة فاستفتح فقالوا من أنت ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قـال نعم ففتـحوا له وقالوا مرحـبا بك وبمن معك فـإذا فيها عـيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام ، قال : ثم عرج بى إلى المسماء الثالثة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن مـعك ؟ قال : محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، ففتـحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك ، فإذا فـيها يوسف عيه السلام ، ثم عرج بى إلى السماء الرابعة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل، قالوا ومن مـعك ؟ قال : مـحمـد قالوا وقد بعث إليـه ؟ قال نعم ، فـفتـحوا له وقالوا مرحـبا بك وبمن معك ، فإذا فيـها إدريس عليه السلام قـال فعرج بى إلى السمـاء الخامسـة فاسـتفتح جـبريل ، قالوا من أنت ؟ قـال جبـريل ، قالوا ومن معك؟ قال : محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قال ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن مـعك ، فـإذا فيـهـا هارون عليـه السـلام ، ثم عرج بى إلى السـمـاء السادسـة فاستفـتح جبريل ، قالـوا من أنت ؟ قال جبريل ، قـالوا ومن معك ؟ قال: محمد قـالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، ففتحوا له وقـالوا مرحبا بك وبمن مـعك ، فإذا فـيهـا موسـى عليه السـلام ، ، ثم عرج بـى إلى السمـاء السابعـة فاستفتح جبريل ، قالوا من أنت ؟ قـال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال : محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معــك ، وإذا فـيهـا إبراهيم عـليه السـلام فقـال جـبـريل يا مـحـمد ألا تـسلم على أبيك إبراهيم؟ قلت بلى فـأتيـته فـسلمت عليـه فردّ علىّ السـلام وقـال مرحـبًا بابنى الصالح والنبى الصالح ، ثم انطلق بى على ظهر السمـاء السابعة حتى انتهى بى إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير أخضر أنعم طير رأيت فقلت يا جبريل إن هـذا الطيـر لنـاعم قـال يا محمـد آكـله أنعم منـه ؛ ثم قـال يا محـمد أتدرى أى نهـر هذا ؟ قال : قلت لا ، قـال : هذا الكوثر الذى أعطاك

الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، قال : فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بى حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتنى سحابة فيها من كل لون فرفضنى جبريل وخررت ساجدًا لله عز وجل فقال الله لى : يا محمد إنى يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وزأمتك . قال ثم انجلت عنى السحابة فأخذ بيدى جبريل فانصرفت سريعًا فأتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئًا ، ثم أتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟ فقلت فرض ربى علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فاجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك . فرجعت سريعًا حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتنى السحابة ورفضنى جبريل وخررت ساجدًا وقلت ربِ إنك فرضت علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتى فخفف عنًا . قال : قد وضعت عنك عشرًا قال : ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل قال : فانصرفت سريعًا حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئًا ثم أتيت على موسى فقال لى ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : وضع عنى ربى عشرًا. قال : فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت إنى قد استحيت منه تعالى . قال ثم انحدر فقال رسول الله ﷺ لجبريل مالى لم آت أهل سماء إلا رحبوا بى وضحكوا لى غير رجل واحد فسلمت عليه فردّ علىّ السلام ورحب بى ولم يضحك لى . قال : يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خُلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك ، قال ثم ركب منصرفا فبيناهو فى بعض الطريق مر بعير لقريش تحمل طعاما منها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء

وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر » ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك فى صاحبك ؟ يخبر أنه أتى فى ليلته هذه مسيرة شهر ورجع فى ليلته . فقال أبو بكر رضى الله عنه : إن كان قاله فقد صدق وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا لنصدقه على خبر السماء فقال المشركون لرسول الله ﷺ ما علامة ما تقول قال : « مررت بعير لقريش وهى فى مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر » . فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله ﷺ ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق وسألوه وقالوا : هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟ قال : نعم . قالوا : فصفهم لنا . قال : « نعم أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال ازدعمان ، وأما عيسى فرجل ربعة سبط تعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان» هذا سياق فيه غرائب عجيبة » .

* * *

وما أكثر الروايات التى رواها ابن كثير . . ولكن الخلاصة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام رجع بعد الإسراء والمعراج إلى مكة وعندما أصبح حدَّثَ قومه عما شاهد فى تلك الليلة المباركة .

وما كاد يتناهى إلى سمع أبى جهل قول الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى أخذ ينادى قريشاً ليسمعوا إلى حديث الرسول عن الإسراء والمعراج . .

لقد وجدها عدو الله فرصة لأن يشكك المسلمين فى نبيهم .

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام قصَّ عليهم وقائع هذه الليلة المباركة .

وانقسم الناس إزاء ما يسمعون .

بعضهم استنكر ما سمع .

وبعضهم الآخر أخذ يستهزئ مما سمع .

وتوجه بعضهم إلى أبى بكر الصديق ، يخبره بما قاله عليه الصلاة والسلام .

فقال لهم أبو بكر : إن كان قال ذلك فقد صدق . . وأصدقه فى أبعد من ذلك .

ومن هنا لُقِّبَ بالصِّدِّيق .

وقد روى جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : **لما كذبتنى قريش نمت فى الحِجْر ، فجلَّى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »**.

وسألته قريش عن قافلة لهم كانت قادمة من الشام عن موضعها . .

فقال لهم الرسول : إنها تقدم عليكم يوم كذا فى مطلع الشمس ، يتقدمها جمل أورق (رمادى) .

وصدق ما حدَّث به الرسول .

وفى صبيحة ليلة الإسراء نزل جبريل عليه السلام إلى الرسول ﷺ ليعلمه كيفية الصلاة ، فى أوقاتها الخمسة .

وكان الرسول قبل ذلك يصلى ركعتين فى الصباح وركعتين فى المساء كصلاة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

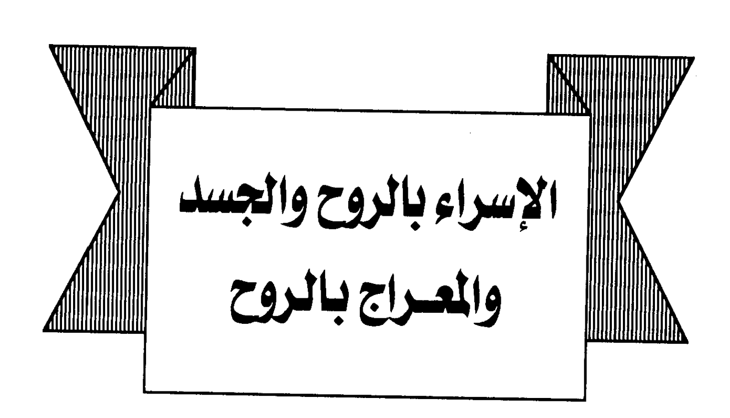
وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : **« فُرِضَت عليَّ الصلوات ليلة أسرى بى خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسًا .. ثم نودى : يا محمد إنه لا يبدل القول لدىَّ ، وإن لك بهذه الخمس خمسين »** .

وقد علَّم جبريل عليه السلام النبى ﷺ مواعيد كل صلاة على حدة .

* * *

ولنعد نتحدث عن الإسراء والمعراج . . واختلاف الرؤى حول كيفية الإسراء والمعراج . . وهل كان بالروح والجسد ، أو بالروح فقط ؟

* * * * *


الإسراء بالروح والجسد
والمعـراج بالروح



من رأى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أن الإسراء كان بالروح والجسد، بينما كان المعراج بالروح .

. . لنتوقف عند رأية والأدلة التى ساقها لتعزيز وجهة نظره تلك .

يرى الشيخ محمد أبو زهرة أن ظاهر الآية القرآنية التى أثبتت الإسراء هى قوله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [الإسراء : ١]

أن الإسراء كان بالجسد والروح . وذلك لأنه سبحانه وتعالى قال أسرى بعبده ، والعبد هو الروح والجسد ، ومادام الظاهر لا دليل يناقضه من عقل أو فعل ، فإنه يجب الأخذ به ، فإنه من المقررات أن الألفاظ تفسر بظاهرها إلا إذا لم يكن حملها مع الظاهر لمعارض ، ولا معارض .

وفوق ذلك فإن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عندما أعلن خبر الإسراء بين قريش ففتن بعض الذين أسلموا وارتد من ارتد ، ويقول فى ذلك ابن كثير فيما رواه عن قتادة :

« انصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى مكة المكرمة . فأصبح يخبر قريشً بذلك ، فذكر أنه كذبه أكثر الناس ، وارتدت طائفة

بعد إسلامها ، وبادر الصديق إلى التصديق ، وذكر أن الصديق سأله عن صفة بيت المقدس ، وقال إنى لأصدقه فى خبر السماء بكرة وعشيا ، أفلا أصدقه فى بيت المقدس ، فيومئذ سمى أبو بكر الصديق .

وأنه روى أن أهل مكة المكرمة الذين ردوا القول استوصفوه عيرا لهم فوصفها ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى أخبارهم ، والاستدلال عل صدقه « وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا . فأنفرهم حسن الدابة فند لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بصحنان مرتت بعير بنى فلان . فوجدت القوم نيامًا ، ولهم إناء فيه ماء ، قد غطوا عليه بشىء ، فكشفت غطاءه ، وشربت ما فيه ، من ثنية التنعيم (هو مكان) البيضاء يقودهم جمل أورق عليه غرارتان . إحداهما سوداء والأخرى برقاء . فابتدر القوم الثنية . وسألوهم عن الإناء وعن العير فأخبروهم كما ذكر رسول الله ﷺ .

وأن هذا كله يدل على أن الإسراء كان بالروح والجسد ، فإنه تلاقى مع المارين بين مكة المكرمة والشام ، وأخبر عن التلاقى . وصدق خبره عليه الصلاة والسلام . وإذا كان بعض هذه الروايات فى إسنادها كلام ، فإن بعضها يقوى الآخر . ونص القرآن الكريم ظاهر فى تأييد الدعوى ، بل لا يدل على غيرها حتى يقوم الدليل .

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

ولو كان الإسراء بالروح أو الرؤيا الصادقة ما كان ثمة غرابة تمنع التصديق، ولبادر النبى ﷺ بإخبارهم أن ذلك رؤيا فى المنام ، أو هذا وحى أوحى به إليه .

ويستعرض الشيخ محمد أبو زهرة مختلف الآراء ويرى أنه من روى عن عائشة رضى الله عنها (لم تفقد بدنه) أن عائشة لم تكن زفت إلى رسول الله ﷺ !

ويقول الشيخ أبو زهرة :

ويرى صاحب الروض الآنف أن الأدلة قد تعارضت بالنسبة للإسراء وأنه يوفق بينها بأن الإسراء كان مرتين : إحداهما بالروح والأخرى بالجسد والروح ونحن نرى أن الأدلة لم تتعارض ، بل أن الأدلة على أن الإسراء كان بالجسد والروح هى التى لا ريب فيها ، ولا يمكن أن يعارض الضعيف القوى .

ويخرج من ذلك :

ولذا نرى أن الإسراء كان بالجسد والروح ، ولا نجد فيما استدل به ما يدل على أنه كان بالروح فقط وأن الآية : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ لا نرى أن موضعها هو الإسراء ، بل أن موضعها هو المعراج .

ولا غرابة فى أن ينقل الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة المكرمة إلى بيت المقدس وأن يعود به فى ليلة واحدة ، فإن هذا ليس ببعيد على الله سبحانه وتعالى ، لأن المسافات فى الزمان والمكان ، إنما هى بالنسبة للعبيد ، ولا تكون قط بالنسبة لله سبحانه وتعالى وهو القادر على كل شيء ، وهو خالق الأماكن والأزمان " .

* * *

ويرى الشيخ أبو زهرة أن الأكثرين من العلماء على أن المعراج كالإسراء كان بالجسد والروح ، وأخذوا ذلك من ظواهر الأحاديث الصحيحة التى روتها السنة ، ففيها التصريح بأنه لقى آدم فى سماء ، وإبراهيم فى مثلها ، وإدريس وعيسى ويحيى وموسى ، وهذه الظواهر آثروا الأخذ بها .

ولكن أولئك الأكثرين وقفوا عند رؤية الله سبحانه وتعالى فقال فريق منهم أنه رأى ربه وخاطبه . وكان ذلك تكريمًا له لمخاطبة الله سبحانه وتعالى اختص بها محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيمًا وتقريبًا له ، وهو فوق المذكور فى قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب . أو يرسل رسولا ﴾ وليس من هذه الثلاثة رؤية الله سبحانه وتعالى . وتلقى الرسول منه مباشرة من غير حجاب .

وقد رأى ذلك الرأى الإمام أحمد بن حنبل وقال أيضًا أبو الحسن الأشعرى وقالت طائفة أخرى لم يقع ذلك لحديث مسلم عن أبى ذر رضى الله تبارك وتعالى عنه :

« قلت يا رسول الله هل رأيت ربك ، فقال عليه الصلاة والسلام أنه نور أنّى أراه ، وفى رواية رأيت نوراً » .

والذين قالوا أن الإسراء كان بالروح فى رؤيا صادقة قالوا ذلك فى المعراج ، بل هو أولى ، فالرحلة كانت رؤيا صادقة ، وقد بينا القول فى أدلة هذا الرأى بالنسبة للإسراء من قول .

وقد انضم إليهم غيرهم ممن يرون أن الإسراء كان بالجسد والروح ، فمنهم من قال أن المعراج كان بالروح وليس فى الموضوع نص قرآنى يدل بظاهره على أنه كان بالجسد والروح ، حتى لا يكون مناص من اتباعه أو تأويله ، بل نجد الألفاظ تقبل أن المعراج بالروح ، وبالتظاهر المتبادر لا بالتأويل المنتزع انتزاعًا .

ولننظر فى الآيات الكريمة الدالة على المعراج :

دلالة آية الإسراء على المعراج بالإشارة لا بالعبارة ، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **لنرية من آياتنا** ﴾ فتلك الآيات التى أراها الله عبده هى المعراج وإمامة الأنبياء السابقين .

والآيات الأخرى التى دلت على المعراج ، كانت الفاظها لا تدل على المعراج إلا بالإشارات البيانية ، ولننظر فيها عبارة عبارة ، وكلها من السمو البيانى فى المكان الأعزل الذى لا يصل إليه بيان قط .

﴿ **علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى** ﴾ .. فقد قالوا إنه جبريل عليه السلام ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى ، فتعلمه لا يكون بالتلقين بل يكون بالإرشاد والإيحاء .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وهو بالأفق الأعلى** ﴾ يراد جبريل عليه السلام ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ عن طريق جبريل ، ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ وهو جبريل أيضًا وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ تومى\ إلى أن الآيات الكبرى التى رآها كانت بفؤاده لا ببصره ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿**ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ أى ما كل وما تجاوز حده ، وقد يكون

لبيان أن البصر لم يتجاوز حده ليطغى ، ويحاول أن يرى ما لا يمكن أن يراه ، ويزيغ بأن يكل ويمل ، ويلقى فى النفس ما لم ير .

وإننا عند هذا النظر الفاحص ننتهى إلى أن الإسراء إذا كان بالجسد والروح ، فإن المعراج كان بالروح فقط ، وأنه كان رؤيا صادقة ، ونحن نرجح ذلك لما يأتى :

(أ) أنه ذكر فى المعراج أنه التقى بالأنبياء آدم وإبراهيم وموسى ويحيى ، وغيرهم ، والباقى منهم هو أرواحهم ، وأجسامهم سيبعثها الله تعالى يوم البعث والنشور ، وفرض أنه بعثها ثم أفناها فرض بعيد لم يذكر فى حديث من الأحاديث ، ولا خبر من الأخبار ، ولو ضعيفًا ، وكل فرض فى أمر غيبى لا دليل عليه من المنقول فهو رد على قائله إلا أن يكون أمرًا يؤدى إليه البرهان العقلى ، ولا يوجد شيء لا من المنقول ولا المعقول يقرر إعادة أجسام الأنبياء الكرام أحياء ، ثم إعادتها إلى الفناء .

(ب) إن العبارة القرآنية الكريمة الواردة فى المعراج تومى* بل تصرح ، بأن الأمر فى هذه الرحلة السماوية كان روحيًا وأن الإدراك لم يكن بالحس ، بل كان بالقلب والفؤاد ، فالله تعالى يقول : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى** ﴾ فالحديث القرآنى كله كان فى إثبات رؤية الفؤاد ، وأنه لا تجوز المماراة فيما رأى الفؤاد الذى لا يكذب ، وذلك لا يتحقق إلا بأن تكون الرؤية روحية ، لأن رؤية القلب لا تكون إلا روحية ، وأنه عندما ذكرت حاسة البصر ذكرت بالنفى ، لا بالإيجاب ، وقد بينا مؤدى النفى فى هذا .

(جـ) أن أخبار المعراج تصرح بأنه رأى ربه ، والرؤية القلبية ممكنة باستحضار عظمته ، وبالسبحات الروحية المتجهة إلى الله سبحانه وتعالى وأن النبى ﷺ قد قرر أنه لم ير ربه فى حديث أبى ذر الغفارى ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فى إجابة سؤال الصحابى الجليل أبى ذر : « **إنه نور فإنى أراه** » .

وإننا لا نتعرض فى ذلك لكون رؤية الله تعالى يوم القيامة ممكنة ، أو غير ممكنة ، فذلك يوم القيامة يوم البعث والنشر ، وذهاب أهل الجنة إليها ، وإبقاء أهل النار فيها فإن الكلام فيها غير الكلام فى الدنيا ، ونحن نحس ونرى ، فإن كانت رؤية الله تعالى الآن أفهى بالعين الفانية ، ورؤية أهل الجنة عند من يثبتونها تكون بالعين الباقية . والله أعلم كيف يُرَى .

وينتهى الشيخ محمد أبو زهرة إلى تقرير حقيقتين يراهما :

الأولى : أن الإسراء كان بالجسد والروح ظواهر النصوص المثبتة ولا معارض لها .

الثانية : أن المعراج كان بالروح فقط لعدم وجود الأدلة المثبتة إنه كان بالجسد والروح من القرآن الكريم ، ولوجود المعارض من النقل والفعل .

* * * *




الإســـراء والمعـــراج
بالروح والجسد



وإذا كان البعض ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة كان يرى أن الإسراء بالروح والجسد ، وأن المعراج كان بالروح . . فإننا نرى الشيخ محمد متولى الشعراوى يرى أن الإسراء والمعراج كلاهما كان بالروح والجسد . . يقول الشيخ الشعراوى :

« ... ... على أن بعض الناس يجادل فى هذه النقطة . . وهى مسألة الإسراء والمعراج بالجسد أو بالروح . . وهم يقولون لماذا يصر بعض العلماء على أن معجزة الإسراء والمعراج تمت بالجسد والروح . . بينما الأقرب إلى العقل والمنطق أن تكون قد تمت بالروح وحدها . وأن يكون رسول الله ﷺ رأى ما رأى وهو نائم . . كما يرى أى إنسان أشياء فى الحلم ، وأنه لا يجب أن يتعب العلماء أنفسهم فى نقطة الإسراء بالجسد مادامت تصطدم مع العقل والمنطق .

والإسراء بالروح لا يقلل من قيمة المعجزة . . وإلى هؤلاء جميعًا أحب أن أقول أن مسألة الإسراء بالجسد مسألة أساسية . . لماذا ؟

لأننا لا يمكن أن نطبق العقل والمنطق على قدرة الله سبحانه وتعالى . . فإذا كان الله هو الفاعل فلا تقول أن ذلك أقرب إلى العقل أو أبعد عن

العقل ، بل هنا يتوقف حكمنا بالمنطق والعقل لأن قدرة الله سبحانه وتعالى فوق كل العقول .

ومن هنا فإننا إذا حاولنا أن نضع قيوداً لمعجزة الإسراء والمعراج ونقول أنها أقرب إلى العقل أن تتم بالروح بدلاً أن تتم بالجسد إلى آخر ما نقول فى هذا الشأن . فإننا بذلك نضع قيوداً على قدرة الله سبحانه وتعالى فى أن يفعل ما يشاء . . وهنا الخطأ . . ذلك أننا حين ننقل الأمر من قدرة البشر إلى قدرة الله سبحانه وتعالى فلا يجب أن نقيس هذه القدرة بقدرة العقل البشرى مهما كانت . فإذا قال لى أحدهم أنه أقرب إلى العقل والمنطق أن يتم الإسراء والمعراج بالروح . . أقول له إنك تحاول أن تضع على قدرة الله قيوداً من صنع عقلك . والمخلوق لا يستطيع أن يقيد قدرة الخالق . . وفرق كبير بين قدرة الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون وقوانينه . . وبين قدرة العقل البشرى الذى أعطى إمكانية اكتشاف هذه القوانين وفهمها والانتفاع بها . فالقانون الأرضى يخرج من علم الله إلى علم البشر كما سبق أن وضحت . والله سبحانه وتعالى أعطى العقل القدرة على الاستفادة بهذا القانون واستخدامه . . لماذا ؟

لأنه سخر كل ما فى السموات والأرض لخدمة الإنسان ونفعه .

ومرة أخرى أقول : إن المعجزات الحسية التى تتم . . هى معجزات لتثبيت الإيمان فى وقت يزلزل فيه المؤمنون . فيأتيهم من السماء ما يثبتهم . وهى معجزات تحدث فى وقتها وتنتهى ولا تتكرر . . من رآها صدقها ومن لم يرها يمكن أن يصدقها ويمكن ألا يصدقها . ولو أن هذه المعجزات لم ترد فى القرآن الكريم ويخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها . . لو أنها وردت فى كتب التاريخ مثلاً ، لكان من الممكن أن يصدقها إنسان

ولا يصدقها إنسان آخر ، كل حسب تفكيره وقدراته العقلية . ولكن ورودها فى القرآن الكريم جعلها صادقة ثابتة . . يقينية .

ولكن معجزة الإسراء والمعراج تختلف عن هذه المعجزات كلها ، فهى لم تقع على مشهد من المؤمنين تثبيتًا لإيمانهم ، بل وقعت لرسول الله ﷺ وحده . . ومن هنا لم يكن الهدف منها كالمعجزات الحسية الأخرى تثبيتًا للإيمان ، بل أن رسول الله ﷺ حين أبلغ الناس بها لم يصدقه عدد منهم .

إذن لماذا كانت معجزة الإسراء والمعراج مادامت تختلف عن معجزات الرسل الأخرى فى تثبيت الإيمان ؟

كانت لرسول الله ﷺ للتبليغ عن الله سبحانه وتعالى فى أهم أركان الإسلام وهى الصلاة التى فرضت من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ مباشرة، أى بلا وحى تعظيمًا لشأنها وإجلالاً لقدرها . حيث أن الله سبحانه وتعالى قد جعلها الفرض الوحيد الذى لا يجوز الإنسان أن يتركه أبدًا . . فصوم رمضان مثلاً مباح تركه للمسافر والمريض على أن يصوم أيامًا أخر . . وغير القادر على أن يطعم مسكينًا . والزكاة مثلاً ليست مفروضة إلا على من له مال . . أما من لا يملك مالاً أو المستحق للصدقة مثلاً فلا زكاة عليه .

والحج لمن استطاع إليه سبيلاً . . إلا الصلاة فى الحرب والسلم . . وقت المعارك وفى ميادين القتال . وقت المرض ووقت الصحة ، وقت القدرة على الحركة ووقت عدم القدرة على الحركة . والإنسان يستطيع أن يصلى وهو نائم إذا كان المرض يقعده عن القيام . وهو جالس إذا كان المرض يقعده عن السجود والركوع . ولكن ترك الصلاة أمر لم يجعل له

الله سبحانه وتعالى بديلاً . . ولم يرفعه عن عباده ويجعل بدلاً منه فداء . وفرض وقت السفر ووقت المرض ، وجعل فيه من التيسيرات ما يمكن كل إنسان من أداء الصلاة فى الحالة التى يكون عليها . فأجاز الجمع بين الصلوات فى السفر . . إلى آخر ما نعرفه عن أحكام الصلاة .

وبعد أن يتحدث الشيخ الشعراوى عن معجزة الإسراء والمعراج . . والأدلة على أنها بالروح والجسد ، يتساءل :

– ماذا تُعَلِّمُنَا هذه المعجزة ؟

ويجيب :

تعلمنا أولاً قدرة الله سبحانه وتعلى على أن يفعل ما يشاء لعباده الذين يختارهم . . وتعلمنا أن خاتم الرسالات قد فتح الله له . . ليس فقط مُلك الله فى الأرض ولكن مُلك الله فى السموات .

وتعلمنا أن الله سبحانه وتعالى موجود فى كل مكان . . يكلم نبيا على الأرض . . ويكلم نبيه وهو عند سدرة المنتهى .

ولو كان الله سبحانه وتعالى موجودًا فى السموات وحدها ما كلم نبيًا له على الإرض ولو كان موجودًا فى الأرض وحدها ما كلم نبيًا عند سدرة المنتهى .

وأخيرًا إن معجزات الرسل قد تمت على مشهد من المؤمنين لتثبيتهم . أما رسول الله فكونه خاتم المرسلين ، فقد اختص وحده بالصعود إلى السماء . . أما المعجزة الخالدة الباقية فهى القرآن الكريم الذى يعطى عطاء لكل جيل . . يختلف عن عطاء الجيل الذى سبقه .

* * *

لم يكن الرسول محمولاً على شيء !

ويرى الكاتب الإسلامي عبد الحميد جود السحار أنه لم يكثر المحدثون في حديث كما فعلوا في حديث الإسراء ، ولم يتركوا الأعنة لأخيلتهم في حديث آخر مثلما أطلقوها في هذا الحديث ، فرحلة السماء قد استهوت أهل الأرض ، وحركت الخيال ليتصور ما يشاء من الأعاجيب . ولما كان علم ذلك الزمان محدودًا عن الكون والفضاء والسموات العلى ، فلم تستطع علومهم أن تمد أخيلتهم إلا ببعض ما لمسوه في حياتهم ، وما تمنته عقولهم التي كانت ترى أن النعيم أنهار وظل ظليل ، وأن وسيلة الانتقال بين الأرض والسماء لا يمكن أن تكون غير دابة فوق الحمار ودون البغل تسير بسرعة البرق ، يضع حوافره عند منتهى بصره ، ولم يستطيعو ا أن يتصوروا أن السموات غير تصورهم للأرض فجعلوا لها أبوابًا تدق .

وقال السحار :

ولما كانوا في الغالب تجارًا فقد جعلوا لله سبحانه وتعالى بعض صفات التجار يقبل المساومة في فريضة قد فرضها ، قالوا : إن الله جل شأنه قد فرض على المسلمين خمسين صلاة كل يوم ، وأن موسى عليه السلام قال للنبي ﷺ : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجع الرسول عليه السلام فوضع الله عنه عشرا ، فرجع إلى موسى فنصحه أن يرجع إلى ربه يسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرًا ،

وظل يغدو ويروح بين ربه وبين موسى حتى أُمر بخمس صلوات كل يوم ثوابها خمسين ، فقال له موسى : إن أمتَك لا تستطيع الصلوات الخمس كل يوم ، وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ءبك فاسأله التخفيف لأمتك . . فقال له محمد ﷺ: سألت ربى حتى استحيت ، ولكنى أرى وأسلآم ، فنفذت فنادى مناد :

- قد أمضيتُ فَرِيضتى وخففت عن عبادى .

ويستعرض السحار أحاديث الإسراء صحيحها وحسنها وضعيفها ، ويورد ما قاله ابن كثير . ثم يقول معقبًا : إن آية الإسراء لم تذكر أنه كان محمولاً على شىء ، إنه كان يسبح فى الفضاء بقدرة الله التى لا تحد ، بعد أن أصبح حقيقة كونية فى غير حالتها الأرضية الناقصة ، فإن كان قد قيل أنه ركب البراق ، فقد يكون المقصود البراق أو أية قوة كهربية ، ولا يمكن فى حالة إسراء الله بعبده أن تجرى أحكام الحواس ولا أحكام المادة .

وبعد أن يستعرض السحار مختلف الروايات ، ويتحدث عن بعض النظريات العلمية المعاصرة يقول :

إن الكشف الحديث عن طبيعة المادة الصلبة ، بوصفها مجرد أثير فى رتبة اهتزاز معينة ، نفى عنها نهائيًا قدرتها على خلق الحياة ، و المحافظة عليها ، يفيد أن كانت المادة تصلح لتعليل الحياة أصبحت هى نفسها بحاجة إلى التعليل ، وأصبح أقرب تعليل علمى للمادة هو تعليلها بالحياة ، وهكذا انقلبت قضية التعليل رأسًا على عقب ، وأصبح السبب نتيجة والنتيجة سببًا .

أو بعبارة أخرى . . لقد تبين أن المادة لا تصلح لتعليل أى قانون من قوانين الحياة ، لأنها ليست أكثر من طاقة محبوسة ، ولأن كل المادة تمثل رغم ضآلتها المفرطة فى مجموع ألكتروناتها وبروتوناتها مجموعة شمسية كاملة متحركة لا يعوزها شىء ، ولا تختلف عن أية مجموعة شمسية يعرفها علم الفلك إلا من ناحيتى الأحجام والأبعاد . فمن هو يا ترى الذى حبس ذرات المادة طبقًا لهذا النظام البديع الذى يحير العقول ؟

ومتى وكيف جرى ذلك ؟

هذا هو الوضع العلمى الآن لسؤال تعليل المادة ، وإن كان ثم جواب ، فلن يكون إلا أن الحياة تعلل المادة أما المادة فلا تعلل الحياة ، بعد أن أثبت عجزها وقصورها حتى عن أن تعلل نفسها .

وهذه الكلمات العلمية استقاها السحار من كتاب « الإنسان روح لا جسد » للدكتور رءوف عبيد .

ثم يطرح السحار وجهة نظره ويقول :

وأختتم أحاديث الإسراء بأن أقول : إن الإسراء كان بالجسد والروح ما فى ذلك شك . وأن الله سبحانه وتعالى ، قد أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام وأراه آياته الكبرى فى السموات العلى ، وأن الرسول ﷺ قد رأى سدرة المنتهى ، وقد غشيها نور الله . وقد أوحى الله إليه الصلوات الخمس ، وقد انتهت الرحلة العجيبة عند بيت المقدس ، ولو كانت قد تجاوزت المسجد الأقصى لذكر ذلك القرآن الكريم .

وأعتقد أن الرسول ﷺ لم يكثر من الحديث عن الإسراء ، وإن كان القصاص قد رووا أحاديث عنه جمعها الذهبى فى مجلدين ، لأن

العجائب التى رآها كانت فوق تصور رجال عصره ، بل لعلها تكون فوق تصور الناس فى أى عصر ، فإتساع الكون الذى زاره غير محدود ، أو محدود ولكن قطره يقاس بملايين السنين الضوئية .

ويقول مختتمًا دراسته عن الإسراء :

إن الإسراء معجزة تفوق تصور عقول البشر فى كل عصر ، فلا الطائرات ولا الصواريخ ولا أى من المخترعات الحديث أو مخترعات المستقبل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، تستطيع أن تعطينا صورة صحيحة عن إسراء الله بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

أما ما يروى من أحاديث عن الإسراء فهى من اختراع القصاص . .

وفى رأيى أن أغلب هذه الأحاديث نتاج عقول تصورت ملكوت الله على قدر علمها ، وهى أول قصة أدبية إسلامية استوحيت من بعض آيات سورتى (الإسراء والنجم) ، وقد اشترك فى تأليفها أكثر من مؤلف ، وكانت مصدر إلهام (أبى العلاء المعرى) لما كتب : « رسالة الغفران » ، وحتى (دانتى) عندما كتب الكوميديا الإلهية « جحيم دانتى » .

* * * * *


الإسـراء
والعـلم الحـديث

مما استعرضناه من آراء السلف وآراء المعاصرين . . نرى أنه لا اختلاف على حدوث معجزة الإسراء والمعراج . . وإن كنا نرى الاختلاف فى كيفية حدوث الإسراء والمعراج . . ولكننا الآن فى عصر التقدم العلمى المذهل ، فى عصر الذرة والإلكترون ، وارتياد الفضاء . . وأنه رغم هذا التقدم الهائل فما زال الكون لغزًا غامضًا . . وما اكتشفناه لا يزيد عن كونه حبة رمل وسط صحراء شاسعة ، أو نقطة فى محيط .

فالكون بالغ الاتساع . . المسافات فيه لا يمكن تصورها ولو بالخيال . . ويكفى أن تعرف أن المسافات تقدر بملايين السنين الضوئية !

والذين يحاولوا أن يربطوا بين معجزة الإسراء والمعراج والعلم الحديث كثيرون . وعندما نقول الإسراء والعلم الحديث يعنى أن الإنسان المعاصر بالتكنولوجيا المعاصرة ، استطاع أن يحقق ما لم يكن يمكن تصوره فى الماضى . . فالإنسان قد وضع قدمه على القمر .

والإنسان أرسل السفن الفضائية لتكتشف الكون الفسيح ومن خلال هذه الرحلات الفضائية يحاولون معرفة أصل الكون ، وبدايات الحياة .

والإنسان من خلال الأقمار الصناعية ، يستطيع أن يرى البث المباشر لقنوات العالم التليفزيونية فى نفس لحظات هذا البث . !

وأنت تسمع من خلال موجات (الراديو) مختلف محطات العالم فى لحظة انطلاق البث الإذاعى بها .

فإذا كانت هذه الإنجازات من صنع البشر ، فهل يمكن أن تقارن ذلك بقدرة الله تعالى ؟!

وإذا كانت كتب التراث ، والكتب المعاصرة ، قد تحدثت عن أحداث الإسراء والمعراج . . فإننا نرى أن الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » يورد لنا رأى المستشرق درمنجم الذى لخص مختلف ما قيل عن الإسراء والمعراج فى كتب السيرة بأسلوب أدبى رفيع المستوى . . كما نورد وجهة نظر الدكتور محمد حسين هيكل عن الإسراء والمعراج من خلال العلم الحديث .

* * *

ولعل أروع من كتب عن الإسراء والمعراج ، مستندًا على الأحاديث الصحيحة ، وبأسلوب بالغ الجاذبية والعمق هو فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، والذى أورد ما كتبه عن الإسراء أو لخصه معظم من كتب عن الإسراء والمعراج فى عصرنا الحاضر . . لما فيه من موضوعية وعمق نظر . .

ومن خلال عرضنا لرأى الدكتور هيكل وما أورده عن المستشرق درمنجم، وماكتبه فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، تتضح معالم الصورة عن هذه المعجزة الإلهية التى تدل على مكانة رسولنا عليه الصلاة والسلام عند ربه . . والتى تفتح لنا النوافذ لنعرف أن قدرة الله تعالى لا تحد . . وأن ملكوته من الاتساع والعظمة ، ما يدل على العظمة اللامتناهية لله سبحانه . .

وإننا إذا كنا نؤمن بالإسراء والمعراج ، فإن فى رحلة الإسراء والمعراج كان أمر الله تعالى بفرض الصلاة . . وهى معراج يومى إليه سبحانه وتعالى لكل عباده من المؤمنين .

. . لنطرح رؤية الدكتور محمد حسين هيكل . . ونختم هذه الدراسة برؤية الدكتور يوسف الدجوى كما أوردها عبد الحميد جودة السحار فى موسوعته « محمد والذين آمنوا معه » وأيضًا محمد أحمد جاد المولى بك فى كتابه « محمد المثل الكامل » .

يقول د. محمد حسين هيكل :

سرد المستشرق درمَنْجم هذه القصة مستخلصة من مختلف كتب السيرة فى عبار طلية رائعة ، هذه ترجمتها : « فى منتصف ليلة بلغ الكون فيه غاية جلاله ، وصمتت فيه طيور الليل وسكنت الضوارى ، وانقطع خرير الغدران وصفير الرياح ، استيقظ محمد على صوت يصيح به : أيها النائم قم. وقام فإذا أمامه الملك جبريل وضَّاء الجبين أبيض الوجه كبياض الثلج مُرْسَلاً شعره الأشقر ، واقفًا فى ثيابه المزركشة بالدر والذهب ، ومن حوله أجنحة من كل الألوان ترعَش ، وفى يده دابة عجيبة هى البُرَاق ، ولها أجنحة كأجنحة النسر ، انحنت أمام الرسول ، فاعتلاها وانطلقت به انطلاق السهم فوق جبال مكة ورمال الصحراء متجهة صوب الشمال . وصحبه الملك فى هذه الرحلة ، ثم وقف به عند جبل سيناء حيث كلَّم الله موسى ، ثم وقف به مرة أخرى فى بيت لَحْم حيث وُلد عيسى ، وانطلق بعد ذلك فى الهواء فى حين حاولت أصوات خفية أن تستوقف النبى الذى رأى فى أخلاصه لرسالته أن ليس لغير الله

أن يتوقف حيث شاء دابته . وبلغ بيت المقدس ، فقيَّد محمد دابته وصلى على أطلال هيكل سليمان ومعه إبراهيم وموسى وعيسى . ثم أتى بالمعراج فارتكز على صخرة يعقوب وعليه صعد محمد سراعًا إلى السموات ، وكانت السماء الأولى من فضة خالصة علِّقت إليها النجوم بسلاسل من ذهب ، وقد قام على كل منها ملك يحرسها حتى لا تعرج الشياطين إلى عَلْوَ عليها أو يستمع الجن منها إلى أسرار السماء . ألقى محمد التحية على آدم ، وفيها كانت صور الخلق جميعًا تسبِّح بحمد ربها . ولقى محمد فى السموات الست الأخرى نوحًا وهارون وموسى وإبراهيم وداود سليمان وإدريس ويحيى وعيسى . ورأى فيها مَلَك الموت عزرائيل ، بلغ من ضخامته أن كان ما بين عينيه مسيرة سبعين ألف يوم ، ومن سلطانه أن كان تحت إمرته مائة ألف فرقة ، وكان يسجل فى كتاب ضخم أسماء من يُولَدون ومن يموتون . ورأى ملك الدمع يبكى من خطايا الناس ، وملك النقمة ذا الوجه النُّحاسى المتصرف فى عنصر النار والجالس على عرش من لهب . وقد رأى كذلك ملكًا ضخمً نصفه من نار ونصفه من ثلج وحوله من الملائكة فرقة لا تفتر عن ذكر الله قائلة : اللهم قد جمعت الثلج والنار ، وجمعت كل عبادك فى طاعة سنَّتك . وكان فى السماء السابعة مقر أهل العدل ملك أكبر من الأرض كلها ، له سبعون ألف رأس ، فى كل رأس سبعون ألف فم ، فى كل فم سبعون ألف لسان ، يتكلم كل لسان سبعين ألف لغة ، من كل لغة سبعين ألف لهجة ، وكلها تسبح بحمد الله وتقدس له .

« وبينما هو يتأمل هذا الخلق الغريب إذا به ارتفع قمة سدرة المنتهى ، تقوم إلى يمين العرش وتظل ملايين الملايين من الأرواح الملائكية . وبعد

أن تخطى فى أقل من لمح البصر بحاراً شاسعة ومناطق ضياء يُعْشى وظلمة قاتمة وملايين الحجب من ظلمات ونار وماء وهواء وفضاء ، يفصل بين كل واحد منها وما بعده مسيرة خمسمائة عام ، تخطى حجب الجمال والكمال والسر والجلال والوحدة ، قامت وراءها سبعون ألف فرقة من الملائكة سجداً لا يتحركوا ولا يؤذن لهم فينطلقوا . ثم أحس بنفسه يرتفع إلى حديث المولى جل شأنه ، فأخذه الدَّهَش ، وإذا الأرض والسماء مجتمعان لا يكاد يراهما ، وإنما ابتلعهما الفناء فلم ير منهما إلا حجم سمسمة فى مزرعة واسعة . وكذلك يجب أن يكون الإنسان فى حضرة ملك العالم » .

« ثم كان فى حضرة العرش وكان منه قاب قوسين أو أدنى ، يشهد الله بعين بصيرته ، ويرى أشياء يعجز اللسان عن التعبير عنها وتفوق كل ما يحيط به ، فهم الإنسان . ومدّ العلى العظيم يداً على صدر محمد والأخرى على كتفه ، فأحس النبى كأنه أُثْلج إلى فَقَاره ، ثم بسكينة راضية وفناء فى الله مستطاب » .

وبعد حديث لم تحترم كتب الأثر المدققة قدسيته أمر الله عبده أن يصلى كل مسلم خمسين صلاة فى كل يوم . فلما عاد محمد يهبط السماء لقى موسى ؛ فقال ابن عمران له :

« كيف ترجو أن يقوم أتباعك بخمسين صلاة فى كل يوم ؟ ! لقد بلوت الناس قبلك ، وحاولت مع بنى إسرائيل كل ما يدخل فى الطوق محاولته ؛ فصدِّقنى وعد إلى ربنا واطلب إليه أن ينقص الصلوات » .

« وعاد محمد فنقص عدد الصلوات إلى أربعين وجدها موسى فوق الطاقة ، وجعل يردُّ خليفته في النبوة إلى الله مرات عدة حتى انتهت الصلوات إلى خمس » .

« وذهب جبريل بالنبى فزار الجنة التى أعدت للمتقين بعد العبث . ثم عاد محمد على المعراج إلى الأرض ، ففك البراق وامتطاه وعاد من بيت المقدس إلى مكة على الدابة المجنَّحة » .

ويقول أيضا :

والعلم فى عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح ، ويقر المعراج بالروح ؛ فحيث تتقابل القوى السليمة يشعّ ضياء الحقيقة ؛ كما أن تقابل قوى الكون فى صورة معيَّنة قد طوَّع « لماركونى » ؛ إذ سلَّط تياراً كهربيًّا خاصًا من سفينته التى كانت راسية بالبندقية ، أن يضىء بقوَّة الأثير مدينة سدْنى فى استراليا . وفى عصرنا هذا يُقرُّ العلم نظريات قراءة الأفكار ومَعرفة ما تنطوى عليه ، كما يقرّ انتقال الأَصوات على الأثير بالراديو ، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك ، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال . وما تزال القوى الكمينة فى الكون تتكشَّف لعلمنا كل يوم عن جديد . فإذا بلغ روح من القوّة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد ، فأسرى به الله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك حوله ليُريَهُ من آياته ، كان ذلك مما يُقرُّ العلم ، وكانت حكمة ذلك هذه المعانى اَلقَوية السامية فى جمالها وَجلالها . والتى تصوِّر الوحدة الروحية ووحدة الكون فى نفس محمد تصويراً صحيحًا ، يستطيع الإنسان أن يصل إلى إدراكه إذا هو حاول السموّ بنفسه عن أوهام العاجلة فى الحياة ، وحاول الوصول إلى كُنه الحقيقة العليا ليعرف حقيقة مكانه ومكان العالم كله منه .

لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعانى ؛ لذلك ما لبثوا حين حدَّثهم محمد بأمر إسرائه أن وقفوا عند الصورة المادية من أمر هذا الإسراء وإمكانه أو عدم إمكانه ، ثم ساور أتباعه والذين صدقوه

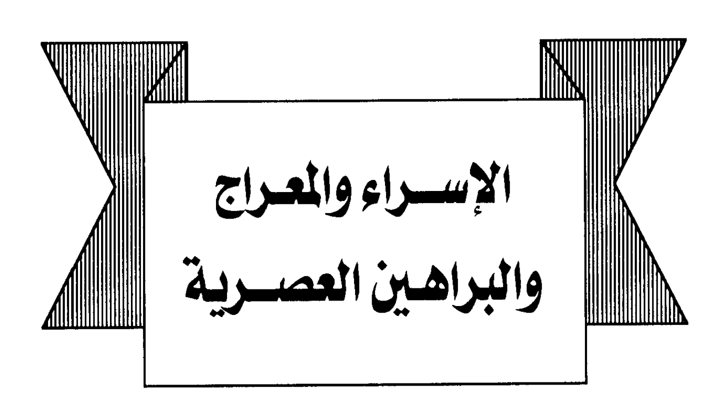
أنفسهم بعض الريب فيما يقوله . وقال كثيرون : هذا ولله الأمر البيِّن . والله إن العير لتَطَّرد[1] شهرًا من مكة إلى الشام مُدْبرة وشهرًا مُقْبلَة ، أيذهب محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ! وارتد كثير ممن أسلم . وذهب من أخذته الريبة فى الأمر إلى أبى بكر وحدّثوه حديث محمد ؛ فقال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه . قالوا : بلى ، ها هو ذاك فى المسجد يحدث الناس . قال أبو بكر : والله لئن كان قد قاله لقد صدق ، إنه لَيُخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أونهار فأُصدّقه ، فهذا أبعد مما تعجَبون منه . وجاء أبو بكر إلى النبى واستمع إليه يصف بيت المَقْدس ، وكان أبو بكر قد جاءه ، فلما أتم النبى صفة المسجد قال له أبو بكر : صدقت يا رسول الله . .ومن يومئذ دعا محمد أبا بكر بالصديق .

ويدلل الذين يقولون إن الإسراء بالجسد على رأيهم بأن قريشًا لمّا سمعت بأمر سراقة سألته وسأله الذين آمنوا به عن آية ذلك ، فإنهم لم يسمعوا بشىء من مثله ؛ فوصف لهم عيرًا مرّ بها فى الطّريق ، فضلت دابة من العير فدلّهم عليها ، وأنه شرب من عير أخرى وغطّى الإناء بعد أن شرب منه ، فسألت قريش فى ذلك فصدّقت العيران ما روى محمد عنهما . وأحسبك لو سألت الذين يقولون بالإسراء بالروح فى هذا لما رأوا فيه عجبًا بعد الذى عرف العلم فى وقتنا الحاضر من إمكان التنويم المغناطيسى للتحدّث عن أشياء واقعة فى جهات نائية ما بالك بروح يجمع الحياة الروحية فى الكون كله . ويستطيع بما حباه الله من قوة أن يتّصل بسرّ الحياة من أزل الكون إلى أبده !

* * * * *

(١) أى تتابع سيرها من غير انقطاع .




الإســراء والمعــراج
والبراهــين العصــرية



ونختم هذه الداسةبهذه الدراسة الجامعة لصاحب الفضيلة الأستاذ الكبير يوسف الدجوى عن الإسراء والمعراج . كما أوردها محمد أحمد جاد المولى بك فى كتابه (محمد المثال الكامل) .

ويسوق فيها الحجج القوية المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله . . ويدحض أراء المنكرين لهذه المعجزة ، ثم يسوق الدلائل العلمية العصرية التى تؤكد أن معجزة الإسراء والمعراج حقيقة مؤكدة . . وأن هذه المعجزة حدثت بأمر من الله . . ولا شيء يستعصى على قدرة الله . . الذى بيده كل شيء . . والذى يقول للشيء كن . . فيكون .

ولنبحر معًا مع هذه الدراسة الشائقة ، والتى نكمل بها ملامح الصورة عن الإسراء والمعراج .

يقول فضيلة الشيخ يوسف الدجوى :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه .

إن الناس اليوم يقدسون عقولهم ، ويسيرون وراء ما يمليه عليهم علمهم القاصر ، ونظرهم الضعيف . وكل من سار وراء عقله ، ووزن كل ما جاء عن الرسول بميزان فكره . قلما يؤمن إيمانًا صحيحًا . فإذا راقك من العقل مل يشقشق به فى بعض الأحيان ، لم يلبث أن يسوءك

منه ما يهذى به فى وقت آخر . ولا غرو فالجهل حليف الإنسان ، والضعف لازم من لوازم البشرية ، وقصور العلم من صفاتها الذاتية ، وأعراضها اللازمة . وكل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله ، وبلغته حدود علمه ، ليس مؤمنًا بالرسول على الحقيقة ، وإنما هو مؤمن بعقله .

وما جاءت الرسل إلا لتخبرنا بما ورا الطبيعة ، مما لم تصل إليه العقول التى لا تستمد معلوماتها إلا من المحسوسات ، وما تنتزعه منها من المعقولات الثانية ، مما هو راجع إليها ومتوقف عليها . ومقدورات الله لا نهاية لها ، وعوالمه لا حدلها ، ولكل عالم قانون يخصه .

فمن الخطأ البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر . وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوان ما لا يعيش إلا فى الماء ، ومن بعضها ما لو مكث فى البحر لمات ، ومن بعضها ما يقتله « ثانى أُكسيد الكربون » كالإنسان ، ومنها ما يقتله « الأكسيجين » ككثير من الحيوانات الدنيا - ولعلنا كنا لا نصدق ذلك قياسًا على أنفسنا ، لولا مشاهدتنا إياه - فكيف بما لم نقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التى تحس والتى لا تحس .

وإنى لأعجب لهم كيف يتبجحون ، ويحكمون فى كل الأشياء بالأحكام الجازمة . اعتمادًا على بضع قوانين وصلوا إلى ظواهرها من قوانين هذا الكون التى لا يحصيها إلا الله ، ولا يدرى كنهها غير مبدعها الذى لا حدّ لقدرته ، ولا نهاية لعلمه !

وليت شعرى بعد ذلك كله ، أى عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع ؟ أهو عقل الأفراد أو عقل الجماعات ؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول ، وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت بين أفراده مثل نوع

الإنسان ، الذى هو مظهر المتناقضات ، ومجمع العجائب والغرائب ، وقد خاطب الله الخلق جميعًا بقوله : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ويقول فى حق الإنسان : « إنه كان ظلومًا جهولا » ؟ .

وإننا نرى فى تخبطه وتناقضه وارتباكه فى أحواله ، واضطرابه فى أعماله ، الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة ، والعجز والقصور . فعلام تلك الكبرياء ؛ وهو من الضعف بحيث يرثى له ، ويشفق عليه !

* * *

الموضـــوع

لا يستند هؤلاء المنكرون إلا إلى الاستبعاد العقلى ، وقياس الغائب على الشاهد ، وإرجاع ما لم يعلموا إلى ما علموا . والجاهل لا يعرف قدر نفسه ، ولا قدر العلم ، ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه فى دائرة العدم . «بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولمَّا يأتهم تأويله » ومن الغريب الذى يؤسف له ، أنهم إذا سمعوا أن بعض الأوروبيين يريد الوصول إلى القمر ، ويفكر فى إعداد العدة لذلك ، لم يتحرك منهم ساكن ، بل ربما انتصروا لما سمعوا وقالوا : إن العلم يلد العجائب ، والاكتشاف يأتى بالغرائب . ولكنهم إذا سمعوا أن الرسول عرج به إلى السماء ، قامت قيامتهم ، وهدرت شقاشقهم ، وظهر كل ما فى نفوسهم الضعيفة من خبث وإلحاد .

وسنتكلم معهم بما يخضعون له إذا سمعوه عن سادتهم الأوروبيين ، والذين لم يعلموا علمهم ، ولا أحسنوا محاكاتهم .

أما الكلام من الجهة النقلية ، فأظنه لا يعنيهم كثيرًا ، ولا يقنعهم كثيرًا أو قليلاً . ومع هذا فسنقول فيه كلمة موجزة ، من أجل الفريق الثانى الذى ينتسب إلى العلم ، ولا يمكنه الخروج عن الكتاب والسنة ، ولكنه يؤوّل ويحرِّف اغتراراً ببعض الروايات ، وإجابة لنزعة عنده ، وعقيدة لديه لا تبعد كثيرًا عن عقيدة الماديِّين ؛ وإن كان مذبذبًا بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . فنقول :

إن من قال : إن الإسراء بالروح ، تمسك ببعض روايات مطعون فيها ، كرواية عائشة (رضى الله عنها) التى ردّها الحافظ ، وقالوا : إنها غير صحيحة من وجوه عدة ، لا نطيل بها الكلام . وكرواية شريك بن أبى نمر ، التى طعن فيها الحفاظ بما يطول شرحه ، وليس غرضنا إلا أن نشير إلى ذلك إشارة خفيفة ، يعرفها ذلك الفريق من الشيوخ المتفيهقين . والعالم كل العالم من لا يتأثر بكل ما رآه ، أو يهَوِّش بكل ما رُوِىَ . بل العالم كل العالم من لا يتأثر بكل ما رآه ، أو يهوّش بكل ما روِى . بل العالم كل العالم من يعرف المقبول والمردود ، والصحيح والضعيف ، ويجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع ويرجح الراجح ويسقط المرجوح إذا تعذر التوفيق .

وما أدرى كيف يقبل الذوق السليم أن الإسراء كان بالروح ، بعد قول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١]

فها أنت ذا ، ترى الآية الكريمة قد افتتحت بسبحان المشعر باستعظام ما كان من الأمر ، والعجيب منه لجلاله . وذلك اللفظ لا يصح موقعه ،

ولا يتناسب وبلاغة القرآن الحكيم ، إلا إذا كان الأمر غير معهود ، ولا مقدور لأحد من البشر .

ولو كان الإسراء بالروح فقط ، لم يكن ثمة ما يقتضى هذا الاستعظام وذلك التعجيب ، إذ لا خطورة فى إراءة النبى ﷺ آيات ربه فى نومه ، فإن هذا أمر يقع لكل أحد ، بل قد يرى الإنسان فى نومه رب العزة الذى هو إكبر من كل شىء . وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجيب لو قلنا : إن ذلك الإسراء كان بالجسد والروح ، كما هو ظاهر لكل ذى فطرة طاهرة وعقل سليم .

ثم تراه يقول : أسرى ، وهو لا يقال فى النوم كما قال القاضى عياض، لأن ما يقع فى النوم ، إنما هو تخييل وضرب مثل لا غير . ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به ، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلا إسراءً حسيًا على ما هو معهود ومعروف .

ثم يقول : بعبده ، وهو نص قاطع فى الموضوع ؛ لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب ، إلا على الشخص المكوّن من الروح والجسد . ولم يعهد فى لغة العرب إطلاقه على الروح فقط ، فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور . كما فى قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ ؟ [العلق : ٩ ، ١٠] وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن : ١٨]، إلى غير ذلك .

ثم يقول : ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ ويقول فى سورة النجم ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ

الْمَـــأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى الــسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٢-١٨] .

ولا شك عن من له ذوق سليم ، أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبى ﷺ أُسرى به إلي بيت المقدس ، وأنه عُرج به إلى السموات العلى بجسمه وروحه ، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى ، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى .

وإنى أستحلفك بعلمك وذوقك وإنصافك ، أن تنظر معى إلى قوله : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَــلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ثم قل لى بعد ذلك ماذا ترى . أفيسهل عليك أن تسلم أن المراء والجدال كانا فى رؤيا منامية ؟ وهل يكون فى رؤيا الروح وحدها فى النوم جحود ومجادلة ؟ وهل لذلك وقع عند القائل والسامع ، حتى تذكر فيه تلك الآيات ، وتحصل به تلك المجادلات ، وينوّه بشأنه فى القرآن هذا التنويه العظيم ؟ وهل عهد مثل ذلك فى الرؤى المنامية ؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك ، حتى ينكروه عليه ﷺ ؟

لا شك أن مناكرتهم ومجادلتهم ، ما كانت إلا لعلمهم أنه يدعى أن ذلك كان يقظة لا نومًا ؛ فهذا محل الاستبعاد والاستنكار ، لأنه غير معهود لديهم ، ولا هو فى متناول قدرتهم .

أما أحلام الأرواح ، فيجوز أن تقع لكل امرىء حتى المشركين أنفسهم وهل ينكر الله عليهم إنكارهم بقوله : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ ويقرعهم على مجادلتهم بالباطل ، ويقسم أن صاحبهم ما ضل وما غوى، ويقول : إنه رأى ، ولا يليق أن تماروه فيها رآه – هل يكون كل

ذلك لرؤيا منامية ؟ وهل يقول المنكر : إن رؤيا جبريل فى المرة الأولى التى جاءت فى الحديث الصحيح - حين رآه ﷺ بحراء على صورته التى خلقه الله عليها قد سدّ الأفق - كانت حلمًا أيضًا ؟ أم يفرق بينهما ، والقرآن لم يفرق ، وجعل الرؤيا فى المرة الأخرى عند سدرة المنتهى ، كالرؤيا الأولى فى الأرض ؟

وهل يقال ذلك إذا كانت إحدى الرؤيتين يقظة والأخرى حلمًا ؟ وهل يحسن أن تجعل الضمير فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ لروح النبى دون جسده ، وتغاير بينه وبين ما قبله وما بعده من الضمائر العائدة على شخصه ﷺ لا على روحه فقط ؟ وهل يسهل عليك أن تقول : إنها رؤيا منامية ، مع قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ؟ وهل يقال ذلك فى أحلام النائمين ؟ اللهم إن ذلك لا يقوله إلا الواهمون وهل يقال فى الرؤيا المنامية : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ ومتى كانت رؤيا المنام فتنة لأحد ، فإن كل إنسان يرى بروحه ما شاء الله أن يرى من الكون . فما وجه الافتتان وما معناه ؟

وأما التشبث بلفظ الرؤيا ، فقد ردّه أهل اللغة ، واستشهدوا عليه بقول الشاعر :

* ورؤياك أحلى فى المنام من الغمض *

على أنه جاء فى القصة ما هو قاطع فى الموضوع ، فإن النبى ﷺ لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم ، وقامت قيامتهم ، فمنهم الواضع يده على رأسه تعجبًا ، ومنهم المصفق ، ومنهم القائل له : لقد كان أمرك أَمَمًا

(أى قريبًا) قبل هذا . حتى ورد أنه ارتد بعض من كان قد دخل فى الإسلام . فهل ترى (أيدك الله) أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية ؟

بل فى القصة ما هو أكثر من هذا . وهو أنهم سألوا النبى ﷺ عن عيرهم التى كانت فيها تجارتهم ، فأجابهم ﷺ بأنه مر بها وقد ندّ منها بعير فانكسر ، وأنه مر بعير أُخرى قد ضلوا ناقة لهم ، وكان معهم قدح من الماء ، فشربه ﷺ . وقد سألوهم عندما قدموا مكة ، فصدقوا ذلك كله ، وفى القصة أكثر من هذا .

فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح ؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونهم عن عيرهم ، وعن بيت المقدس وعن أبوابه وكل ما يتعلق به ، إذا كانت الرؤيا منامية ؟ وأى علاقة بين رؤيا المنام وبين عيرهم التى تجىء من الشام ؟

ولا نزال نقول : أى معنى لقصة قدح الماء ، إذا كانت الرؤيا منامية ؟ وأظن أن هذا القدر كاف للمنصف . ولو شئنا لأطلنا .

الفريق الأول الذى يتمسك بالشبه العقلية :

يقول هذا الفريق : إنه يستحيل العروج إلى السماء ، لأن بيننا وبينها كرة نارية ، كما قرره الفلاسفة الأقدمون . ونقول لهم إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان . وفلاسفة العصر الحاضر ينفون ذلك نفيًا باتًا . فهذا كاف فى إسقاط ذلك الزعم . وستسمع عنه جوابًا آخر مشتركًا دافعًا للشبه كلها .

ويقول الفلاسفة المحدثون فى استحالة ذلك : إن الهواء يرتفع عن الأرض بضعة آلاف من الأمتار ، فإذا وصل الإنسان إلى ذلك الحد

لا يمكنه أن يبقى ، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به ، فلابد أن يموت : وقد وصلوا بطائراتهم إلى ما يقرب من هذا الحد فخرج الدم منهم بهيئة منكرة ، لنقص الضغط الجوى هناك .

ونقول فى دفع هذه الشبهة إن ذلك مسلَّم لا نمارى فيه ؛ ولكن هناك قوانين أخر لا يعرفها الماديون ، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون . ذلك أن الأرواح الإنسانية : من عالم آخر ، لا تسرى عليه قوانين هذا العالم . فإذا غلبت على الإنسان روحانيته ، كان الحكم للروح لا للجسد ؛ وكانت القوانين السائدة عليه هى القوانين الروحانية لا الجسمية . ومتى ساد سلطانُ الروح سلطان البدن ، كان الحكم للروح لا للبدن ؛ فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة فى لحظة قصيرة ، وأن يرى المغيبات على حد محدود ، وأن يخترق الجدران ويقتحم المهالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلحقه ألم . ومن هنا جاءت كرامات الأولياء .

وإذا كنا نصدق ذلك فى الجنّ . وأرواح النوع الإنسانى ألطف وأقوى نفوذًا وأشدّ قربًا من الملأ الأعلى ؛ فلماذا نستبعد ذلك على خواص البشر الذين غلبت عليهم الروحانية ، حتى صاروا كأنهم من الملأ الأعلى ، وبذلك تنخرق لهم العادات ، ولا تحكم عليهم قوانين المادة !

براهين عصرية على ذلك

وما لنا نذكر كرامات الأولياء ، أو معجزات الأنبياء ، وبعض المحدثين لا يقنعون بذلك ، ولعلهم يعدونه من الخرافات والترهات . فلنسق لك ما هو أقرب إلى إقناعهم ، وأليق باستعدادهم ، فنقول :

قد ثبت ثبوتًا لا شك فيه ، أن المنوَّم تنويمًا مغناطيسيًا يسأل عما فى البلاد البعيدة ، فيجيب إجابات صحيحة . فهل يمكن تعليل ذلك تعليلاً ماديًا ؟

وقالوا : إن المنوِّم إذا أمر المنوَّم أن يخوض النار ، وأفهمه أنها ليست نارًا خاضها ولم تؤثر فيه ؛ لأنه تحت سلطان الروح فله حكمها ، والأرواح لا تؤثر فيها النيران ، ولا تحكم عليها هذه القوانين ؛ فإن سلطان الروح فوق سلطان المادة .

وقد قالوا : إنهم جاءوا للمنوَّم بالنشادر المركز ، الذى إذا شمه أحد مات لوقته ، فلم يؤثر فيه أدنى تأثير . فقام بعض الأطباء وقال : إن ذلك غشّ وخداع ، وأخذ النوشادر وشمه فخر ميتًا وأعاجيب التنويم المغناطيسى أصبحت لمس اليد ورأى العين ، وسرها ما ذكرنا من أن سلطان الروح فوق سلطان المادة .

وإذا ثبت هذا ، فلتعلم أن النبى ﷺ عند العروج كان على غاية ما يكون من الروحانية ، بل كانت روحانيته إذ ذاك فوق روحانية جبريل عليه السلام وقد ورد أن جبريل تأخر عنه بعد سدرة المنتهى ، وقال له : لو تقدمت أنملة لاحترقت .

فإذا وصل النبى ﷺ إلى ذلك الحد الذى يتخلخل فيه الهواء أو ينقطع كل الانقطاع ، وقد غلبت عليه الروحانية من كل جهاته ، لم يكن لذلك تأثير فيه ولا ضرر عليه لما قررناه .

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفًا لا ينكر ، وهو أن بعض الهنود يوضع فى صندوق باختياره ، أو يدفن فى موضع من

الأرض عشرين يومًا وثلاثين وأكثر من ذلك ، ثم يُخرج ويُعمل له ما يرجعه إلى حسه ، ولا تفارقه الحياة ، مع أنه لم يتنفس البتة طول تلك المدة . فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله ﷺ وهو سيد الروحانيين ؛ وأفضل الخلق أجمعين !

وهذا تنزل يقتضيه الحال ، وقوانين الجدال . وإلا فلست أدرى كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك ، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح ! مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادّية ، وكثيرًا ما يتخبطوا فيها فينقضوا ما أبرموا ، وهو شأن هذا النوع الضعيف ، منذ خلقه الله إلى أن تقوم الساعة .

ولقد أقام العالم ثمانية عشر قرنًا يدين بنظرية بطليموس صاحب كتاب الماجسطى فى الأرض والشمس ودورتَيْهما ، وغير ذلك من النظريات الفلكية ؛ حتى جاء دور الانقلاب العلمى فى القرن السادس عشر ، ونادى العلامتان كوبرنيق وكيلر الألمانيان ، والبحاثة غاليليو الإيطالى بعكس نظرية السابقين ، وأثبتوا فرضا مخالفا لفروضهم . ثم جاء إينشتين فى عصرنا هذا ، فردّ عليهم ، وقلب نظرياتهم رأسًا على عقب ، ولا ندرى ، ماذا يجيء به الغد ، وقد بين ذلك رئيس وزراء إنجلترا المسيو بلفورد ، منذ زمان بعيد ، حين رأس مجمع ترقى العلوم البريطانية ، بمدرسة كمبردج فى شهر أغسطس سنة ١٩٠٤ وأطال فى ذلك حتى قضى به على معرفة كنه المادة ، وأن منتهى علمها مبتدأ جهلها، كما يقول الشاعر العربى :

كأن الحب دائرة بقلبى فحيث الابتداء الانتهاء

الخلاصة

والخلاصة أن الإسراء لو كان حُلُمًا ما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولا استبعده الكفار ، ولا كذبوه فيه ، ولا ارتد به ضعفاء الإيمان ؛ إذ مثل هذا من الأحلام لا ينكر : ويؤكد ذلك مجيء جبريل له بالبراق ، وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال : ومن معك ؟ فيقول محمد ، ولقاؤه الأنبياء فيها وترحيبهم به ، وخطبهم فى بيت المقدس وردّه عليهم ، وصلاتهم وراءه ، وتعيين محل كل واحد منهم والإخبار عنه بخبر خاص، وحديث فرض الصلاة ومراجعة موسى فى ذلك ، وقوله : ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . وأنه وصل إلى سدرة المنتهى ، إلى غير ذلك مما جاء فى القصة وهل عهد مثل ذلك فى رؤيا المنام وهل يقال فى رؤيا المنام : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ؟ أو ينوه بشأنها هذا التنويه كله ؟ وهل يحسن أن يكون فرض الصلاة وهى عماد الإسلام فى النوم ، مع أن غيرها فرض فى اليقظة ؟

ولست أفهم إلا أن هذا إنكار لقدرة الله ؛ وإذا فتش عن إيمان ذلك المنكر ، وجد ضعيفًا به خلل ، وفيه دخل .

وما أدرى ماذا يصنع فى مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ وقوله : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وقوله : ﴿ فَخُذْ

أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات .

وإن الإيمان بذلك كله سهل لدى من يعتقد أن الله على كل شىء قدير ، وأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً .

ولنرجع إلى الموضوع ، فنقول بالاختصار :

لو كان حلمًا لم يكن فيه آية ، مع أن الله يقول : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ ولو كان فى النوم عند عائشة (رضى الله عنها) ، كما يزعمه بعضهم، لما أنكرت رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه ؛ فهى لم تنكرها إلا لفهمها أن ذلك كان يقظة لا نومًا ، لأن رؤيا المنام لا تنكر من عائشة ولا من غيرها .

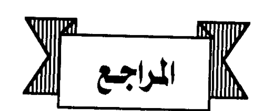
وبعد فقد عرج به صلى الله عليه وآله وسلم ، ليستبين بذلك العروج ، أن مقامه فوق مقامات الأنبياء ، إذ ارتفع عليهم جميعًا ، حتى سمع صريف الأقلام ، وكانت مناجاته فوق السموات العلا ، على غير ميعاد ولا رياضة سابقة ؛ لكمال استعداد ﷺ ليعلم ما بينه وبين غيره من الفرق فى التقريب والاصطفاء .

وكأن العلو الحسى مستتبع للعلو المعنوى ، فكلما ارتقى فى درجات السموات وما فوقها ، كان يرتقى فى درجات الروحانية والاستغراق فى جلال الله وعظمته . ولا غرو ، فالأماكن لها خصائص ومميزات . انظر إلى الكعبة وما اختصت به من الرفعة والتعظيم ونزول الرحمات والبركات ، حتى استحقت أن تسمى ببيت الله ، وحرم الله .

ولتعلم أن قصة الإسراء والمعراج ، قد وردت عن كثير من الصحابة ، عدّ منهم فى المواهب اللدنية ستة وعشرون .

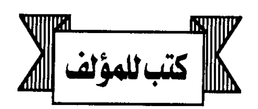
ولنقهر القلم على الوقوف عند هذا الحد ، ففيه مقنع وكفاية لمن أراد الله هدايته . أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، بمنه وكرمه .

* * * * *



* القرآن الكريم
* الأحاديث النبوية الصحيحة
* تفسير القرآن العظيم .... ابن كثير
* حياة محمد .... د. محمد حسين هيكل
* أضواء على السيرة النبوية ومقارنة بين الأديان ..... عبد الحميد جودة السحار
* محمد والذين معه .... عبد الحميد جودة السحار
* خاتم النبيين .... الشيخ محمد أبو زهرة
* سيرة النبى العربى .... أحمد التاجى
* خلاصة السيرة المحمدية .... محمد رشيد رضا
* محمد المثل الكامل .... محمد أحمد جاد المولى بك
* فتاوى الدكتور عبد الحليم محمود (جـ١) .... د. عبد الحليم محمود
* الخلفاء الراشدون .... عبد الوهاب النجار
* مشاهد من حياة الرسول .... مأمون غريب
* الصديق أول الخلفاء الراشدين .... عبد الرحمن الشرقاوى
* معجزة القرآن الكريم .... الشيخ محمد متولى الشعراوى
* قصص القرآن الكريم .... الشيخ محمد متولى الشعراوى

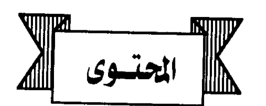
* * *



كتب للمؤلف

- ★ مشاهد من حياة الرسول .... مركز الكتاب للنشر
- ★ خلافة أبو بكر .... مركز الكتاب للنشر
- ★ خلافة عمر .... مركز الكتاب للنشر
- ★ خلافة عثمان .... مركز الكتاب للنشر
- ★ خلافة على .... مركز الكتاب للنشر
- ★ حجة الإسلام الإمام الغزالى .... مركز الكتاب للنشر
- ★ العوالم الخفية والقرآن الكريم .... مركز الكتاب للنشر
- ★ أولو العزم من الرسل .... مركز الكتاب للنشر
- ★ المهاجرون إلى الله .... مركز الكتاب للنشر
- ★ نساء فى حياة الأنبياء .... مركز الكتاب للنشر
- ★ الإمام الحسين (حياته واستشهاده) .... مركز الكتاب للنشر
- ★ أبطال الجهاد فى الإسلام .... مركز الكتاب للنشر
- ★ الإمام الشعراوى وحقائق الإسلام .... دار غريب
- ★ المبشرون بالجنة .... دار غريب
- ★ حديث الروح مع الشيخ الشعراوى .... دار المعارف
- ★ موسى بن نصير .... دار المعارف
- ★ مع مشاهير الفكر والأدب .... دار المعارف
- ★ هؤلاء ورحلة الذكريات .... مكتبة مصر
- ★ السحار والفكر الإسلامى .... مكتبة مصر
- ★ فاطمة الزهراء .... دار الآفاق العربية
- ★ المرأة المسلمة وأمهات المسلمين .... أخبار اليوم
- ★ بيوت الله .... مكتبة غريب
- ★ المسلمون بين الانتصار والانكسار .... مكتبة غريب
- ★ ثروت أباظة أديبا .... دار الشعب





المحتوى

